التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم بمنظار ارتباطيّ

دراسة في الاتِّجاهات المَطروحة

◆ الشَّيخ لبنان حسين الزين[1]

■ **خلاصة**

تعـدَّدَتِ الرُّؤى والنَّظَـراتُ المَطروحةُ عنـدَ المُفسِّرينَ في التَّفسـيرِ المَوضوعيِّ للقـرآنِ الكريم، واختلفَت تطبيقاتُهم في هذا الصَّدَد، تبعًا لاختلافِ اتِّجاهاتِهم النَّظريّة من جهةٍ، ولوجودِ فجوةٍ معرفيّةٍ في النَّظريّـةِ التَّفسـيريّة لدى بعضِهم، أو خلـلٍ مَنهجيٍّ في تطبيق النَّظريّة. وعـلى الرغم من الجهودِ المَبذولة لدى المُفسِّرينَ، ولا سـيَّما في الآونةِ الأخيرة، في تطويرِ الطَّرحِ النَّظريِّ والتَّطبيقيِّ للتَّفسـيرِ المَوضوعـيِّ، غير أنَّ هنـاكَ آفاقًا للتَّطويرِ المَعرفيِّ والمَنهجيِّ ما زالَـت مفتوحةً.. من هنا، تأتي هذه الدِّراسةُ، لتُقوِّمَ بعضَ هذه الاتِّجاهاتِ النَّظريّة المَطروحةِ في التَّفسير المَوضوعيِّ، وتُبيِّنَ نقاطَ قُوّتِها، وتُنبِّهَ على نقاطِ ضَعفِها المَنهجيّة والعلميّة والتَّطبيقيّة، حيثُ سـلَّطَتِ الضَّوءَ على دراسة الاتِّجاهاتِ التَّفسيريّة التي تنطلقُ في البحث المَوضوعيِّ من مُراعاة عاملِ الارتباطِ بينَ مَوضوعاتِ القُرآن أو بينَ مَحاورِه في البَحث التَّفسيريِّ المَوضوعي. كما بيَّنَتِ الدِّراسةُ المُرادَ من هذَين الاتِّجاهَين في التَّفسير المَوضوعي، ومُبرِّراتِ طرحِهما، وخطواتِهما المَنهجيّة، وبعضَ تَطبيقاتِهما، وتَقويمِهما.

الكلمات المفتاحية: التَّفسير الموضوعي- التَّفسير النَّظري- التَّفسير التَّطبيقي- التَّفسير الموضوعيّ الارتباطيّ - موضوعات القرآن.

1 - أستاذ حوزوي وجامعي، وباحث في الدراسات الإسلاميّة والقرآنيّة، من لبنان.

مقدِّمة

مع ظهور البحث التَّفسيريِّ المَوضوعيِّ في القرنَين الماضيَين، وكثرة المُصنَّفات التَّطبيقيّة فيه، استجابةً لإلحاحات الواقع ومُتطلَّباته، بدأت المُصنَّفاتُ النَّظريّةُ تَظهر تباعًا في القرن الأخير، ولا سيَّما في منهجيّة البحث المَوضوعيِّ وخطواته والنَّظرة التي يَنبغي أن يُحكِّمَها المُفسِّرُ في بحثه المَوضوعيّ، فبرزَت رُؤًى ونظراتٌ عدّةٌ في التَّفسير المَوضوعيّ، كلٌّ منها يَنظر إليه بمنظار خاصٍّ، ويَلحظ فيه خُصوصيّةً لا يَنبغي للمُفسِّر أن يَغفل عنها في بحثه. فاختلفَت اتِّجاهاتُهم فيه، بينَ مَن اعتمدَ على منهجيّة المُقارَنة والمُوازنة بينَ الآيات المُشتركة في موضوعٍ واحد، وانتقى موضوعَه من داخل القرآن (الاتِّجاه الاتِّحادي عندَ أغلب المُفسِّرينَ)[1]، وبينَ مَن اعتمدَ على جَدليّة حركة المُفسِّر بينَ الواقع والقرآن ومُحاورته واستنطاقه للقرآن، مُتجاوزًا طرحَ الموضوع من داخل القرآن إلى طَرحه من خارجه (الاتِّجاه الحواري الاستنطاقي عندَ الشَّهيد الصَّدر)[2]، وبينَ مَن لم يكتفِ بالحُصول على الرُّؤية الموضوعيّة بمُعالجة قرآنيّة بَحتة، فضمَّ السُّنّةَ إلى القرآن في المُعالَجة للمَوضوع (الاتِّجاه الجَمعيّ بينَ القرآن والسُّنّة عند الشَّيخ عبد الله الجوادي الآملي)، وبينَ مَن نظرَ إلى الموضوع ضمنَ نظام خاصٍّ من المَوضوعات (الاتِّجاه الارتباطيّ بينَ موضوعات القرآن عندَ الشَّيخ ناصر مكارم الشِّيرازي)، أو لحاظ اندراجه ضمنَ محاورَ أساسيةٍ للقرآن الكريم (الاتِّجاه الارتباطيّ بينَ محاور القرآن عندَ كلٍّ من العلامة الطباطبائيِّ والشَّيخ محمد تقيِّ مصباح اليزدي)، وهو ما ستَتناولُه هذه الدِّراسةُ بالبحث والتَّقويم.

---

١ - انظر: سامر رشواني، منهج التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، ص. ص ١٠٣-١٠٧، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى، ص. ص ٤١-١٧٩، محمد رشيد رضا، الوحي المحمّدي، ص٨١ وما بعدها، أمين الخولي، الأعمال المختارة (دراسات إسلاميّة)، ص. ص ٣٩-٤٠، عائشة عبد الرحمن، التَّفسير البياني للقرآن الكريم، ج١، ص. ص١٧-١٨.

٢ - السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة، الصفحات: ص١٠-٢٧-٣١-١٧٩.

وعلى الرغم من امتلاك هذه الاتِّجاهات نقاطَ قوّة مَنهجيّة، وإسهامها في التَّطوير المَنهجيِّ والتَّطبيقيِّ للتَّفسير المَوضوعيِّ، غير أنَّها تَعتورُها نقاطُ ضَعف تمَثَّلَت في إغفالها أو إهمالها لبعضِ العناصرِ المَوضوعيّة المُؤثِّرة في تشكيلِ النَّظرة المَنهجيّة إلى البَحث التَّفسيريِّ، انعكسَت بدَورِها على البحثِ التَّطبيقيِّ لهذه الاتِّجاهات.

وتأتي هذه الدِّراسةُ لتَتناوَلَ بعضَ هذه الاتِّجاهات بالبَحث والتَّقويم، وهي الاتِّجاهاتُ التي تَنطلِقُ في البحث المَوضوعيِّ من مُراعاة عاملِ الارتباط بينَ مَوضوعاتِ القرآن أو بينَ مَحاوِرِه في البَحثِ التَّفسيريِّ المَوضوعيِّ، وذلك ضمنَ محورَينِ اثنَينِ هما:

الأوّل: التَّفسير المَوضوعيُّ الارتباطيُّ بينَ موضوعاتِ القرآن.

الثّاني: التَّفسيرُ المَوضوعيُّ الارتباطيُّ بينَ محاورِ القرآن.

أولًا: التَّفسير الموضوعيّ الارتباطيّ بين موضوعات القرآن:

١- المُراد من هذا الاتِّجاه

طرحَ آيةُ الله الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازي رؤيةً واتِّجاهًا تفسيريًّا، في مقدِّمة تَفسيره المَوضوعيِّ «نفحات القرآن»، يَرى فيه لزامًا على المُفسِّر لحاظَ خصوصيّة العلاقة والارتباط بينَ المَوضوعاتِ القرآنيّة، في بحثه عن رؤية قرآنيّة لمَوضوعٍ ما، فلا يَكفي أن يَجمعَ الآياتِ التي تَشتركُ في موضوعٍ ما، ثمَّ يُقارنَ ويُوازنَ فيما بينَها، ثمَّ يَستخرجَ رؤيةً قرآنيّةً في المَوضوع، بل عليه أن يَنظر إلى كلِّ ما يَرتبطُ بمَوضوعه من مَوضوعاتٍ أُخرى، لها علاقةٌ وثيقةٌ معَه، فيَبحثها بَحثًا موضوعيًّا في القرآن، ثمَّ يُقارن هذه الأبحاثَ المَوضوعيّةَ المُرتبطةَ في مَوضوعاتها، حيثُ يقولُ في هذا الصَّدد: «والنَّوعُ الآخَرُ من التَّفسير الذي نُطلِقُ عليه التَّفسيرَ الارتباطيَّ أو التَّسلسُليَّ، حيثُ نتناولُ فيه مواضيعَ القرآن، من حيثُ ارتباطُها ببعضها. فعلى سبيلِ المثال: بعدَ بحث مَوضوعِ الإيمانِ، والتَّقوى، والعملِ الصّالحِ، كلٍّ على حِدة في التَّفسيرِ المَوضوعيِّ، يُتطرَّقُ إلى تفسيرِ

هذه المَواضيعِ الثَّلاثة، من حيثُ ارتباطُها ببعضِها، من خلالِ الاعتمادِ على الآياتِ والمُلاحَظاتِ الواردةِ في ذلك، ويُوضِّح علاقتَها ببعضِها»[1].

٢- مُبرِّرات هذا الاتِّجاه

يَرى الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازي أنَّ مُبرِّراتِ طرحِ هذا الاتِّجاهِ التَّفسيريِّ تكمنُ في الآتي:

■ **إضافة عناصر وحقائق جديدة إلى البحث الموضوعيّ:**

إنَّ نظرةَ المُفسِّرِ إلى الموضوعاتِ الأخرى، المُرتبطةِ بمَوضوعِ بَحثِه، تُسهِمُ في إضافةِ عناصرَ جديدةٍ إلى البحثِ المَوضوعيِّ القرآنيِّ، وتكشفُ عن حقائقَ جديدة، لم يكنْ ليحصلَ عليها بالنَّظرةِ الأُحاديّة. ويُوضِّحُ الشَّيخُ الشِّيرازيُّ ذلكَ بقوله: «فعلى سبيلِ المثال: بعدَ بحثِ موضوعِ الإيمان، والتَّقوى، والعملِ الصّالحِ، كلٍّ على حِدة في التَّفسيرِ المَوضوعيِّ، يُتطرَّق إلى تفسيرِ هذه المَواضيعِ الثَّلاثة، من حيثُ ارتباطُها ببعضِها، من خلالِ الاعتمادِ على الآياتِ والمُلاحَظاتِ الواردةِ في ذلك، ويُوضِّح علاقتَها ببعضِها. ومن المُسلَّمِ به أنَّ حقائقَ جديدةً سوفَ تَنكشِفُ لنا عن كيفيّةِ ارتباطِ هذه المَواضيعِ ببعضِها تكونُ بالغةَ القيمةِ والفائدة»[2].

■ **مقاربة البحث التَّفسيريّ بالبحث في عالم الخَلق والتَّكوين في خصوصيّة التَّرابط بين المَوضوعات:**

كما أنَّ البحثَ عن موضوعٍ في عالَمِ الخَلقِ والتَّكوينِ لا يكونُ بمَعزلٍ عن مَوضوعاتٍ أُخرى، كذلك البحثُ المَوضوعيُّ في القرآنِ الكريم، لا بدَّ من مراعاةِ جانبِ الانسجامِ والتَّرابطِ بينَ مَوضوعاتِه، في بحثِ أحدِها.

١- ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج١، المقدّمة، ص٦.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص ٦-٧.

يقولُ الشَّيخُ الشِّيرازيُّ: «نحنُ نعلمُ أنَّ الأسلوبَ الصَّحيحَ في دراسةِ كتابِ التَّكوينِ؛ أي عالَمِ الخلقِ وكائناتِ عالَمِ الوُجودِ، هو في مُطالعتِها، من حيثُ ارتباطُها مع بعضِها، ففي الحقيقةِ أنَّ الشَّمسَ والقمرَ والأرضَ والإنسانَ والمُجتمعاتِ البَشريّةَ هي مواضيعُ لا تَنفصلُ عن بعضٍ، وهي تُشكِّلُ في مجموعِها كيانًا واحدًا مُتلازمًا، والأسلوبُ الصّائبُ في دراستِها هو أن نَبحثَها من حيثُ ارتباطُها مع بعضِها. وهكذا الأمرُ في كتابِ التَّدوينِ، أي القرآنِ الكريمِ، فهنالكَ علاقاتٌ دَقيقةٌ ولَطيفةٌ فيما بينَ مواضيعِ القرآنِ الكريمِ، ولا بدَّ من تَفسيرِها، من حيثُ ارتباطُها مع بعضِها».

■ **إعادة جمع رُؤى القرآنِ للأحداث والمَجالات المختلفة وتَرتيبُها وإنطاقُ بعضِها ببعضٍ:**

إنَّ النُّزولَ التَّدريجيَّ للقرآنِ الكريمِ، طيلةَ البعثةِ النبويّةِ الشَّريفةِ، واختلافِ البيئتَينِ المكِّيّةِ والمَدنيّةِ في خصوصياتِهما الدِّينيّةِ والثَّقافيّةِ والاجتماعيّةِ...، جعلَ بحوثَ القرآنِ تَستجيبُ للظُّروفِ والاحتياجاتِ الاجتماعيّةِ المُختلفةِ آنَذاكَ تباعًا، كلاًّ على حِدةٍ، ومن ثَمَّ باتَ من الضَّروريِّ جمعُها وترتيبُها ومقاربتُها في كلِّ واقعٍ، مع لحاظِ خصوصيّاتِه، ولا يُمكن الظَّفرُ بهذه الغايةِ إلا من خلالِ البحثِ المَوضوعيِّ الذي يَربطُ الموضوعَ بواقعِه النُّزوليِّ من جهةٍ، وبالمَوضوعاتِ التي تَحكمُه معَها علاقةٌ وثيقةٌ لا يُمكن إغفالُها أو إهمالُها في البَحثِ المَوضوعيِّ لموضوعٍ ما، ولا سيَّما أنَّ القرآنَ نفسَه عندَما بيَّنَ رؤيتَه لمَوضوعٍ من الموضوعاتِ في بيئةِ نُزولِه، فإنَّه كانَ يَربطُه بغَيرِه من المَوضوعاتِ، كرَبطِه بينَ التَّوحيدِ والنُّبوّةِ والمَعادِ، وبينَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ والتَّقوى.

يقول الشَّيخُ الشِّيرازيُّ: «هذا الكتابُ نزلَ على مَدى ٢٣ سنةً، وفقًا للحاجاتِ والظُّروفِ الاجتماعيّةِ المُختلفةِ والوَقائعِ المُتباينةِ، والمَراحلِ التَّربويّةِ المُتفاوتةِ، وسايَرَ حياةَ المجتمعِ الإسلاميِّ، وفي نفسِ الوَقتِ لم يتعلَّقْ بزَمانٍ ومكانٍ مُعيَّنَينِ! فخلالَ يومٍ كاملٍ تَدورُ كافّةُ بحوثِ القرآنِ حولَ محورِ مُقارَعةِ الوَثنيِّينَ والشِّركِ وتَعليمِ التَّوحيدِ بكلِّ فروعِه، والسُّوَرُ النّازلةُ في هذه المَرحلةِ كلُّها في المَبدأِ والمَعادِ (كالسُّوَرِ التي نزلَت في مكّةَ خلالَ السَّنواتِ الثَّلاثَ عشرةَ الأولى من البعثةِ).

وفي يومٍ آخَرَ تكونُ البحوثُ ساخنةً وقويّةً حولَ الجهادِ ومُواجَهةِ الأعداءِ الدّاخليِّينَ والخارجيِّينَ والمُنافقينَ. ويومٌ تقعُ غزوةُ الأحزابِ، فتَنزلُ سورةُ الأحزابِ، وما لا يَقلُّ عن ١٧ آيةً منها تتحدَّثُ

عن هذه المعركة والتَّجارب والقَضايا التَّربويّة فيها ووَقائعها. وفي يوم آخَرَ جرَت واقعةُ صُلحِ الحُديبيةِ فتَنزلُ سورةُ الفَتح، وبعدَها فتحُ مكّةَ وغزوةُ حُنين، فتَنزلُ سورةٌ الإخلاصِ وآياتٌ أُخرى.

والخلاصة: فتَزامنًا مع انتشار الإسلام، والتَّحرُّك العامِّ للمُجتمع الإسلاميِّ، كانَت تنزلُ الآياتُ المُناسبةُ، وتَصدرُ الأوامرُ اللاّزمةُ. وهذا ما كان يُكمِّلُ المَسيرةَ التَّكامليّةَ للإنسان. واستنادًا إلى ما قيلَ أعلاهُ، يتَّضحُ المَغزى من التَّفسير المَوضوعيِّ ألا وهو: تَجميعُ الأحداث والمَجالات وتَرتيبُها لتتجلَّى وجهةُ نظرِ القرآن الكريم بشأن ذلك المَوضوع وأبعاده. فمَثلاً تُستجمَعُ الآياتُ المُتعلِّقةُ ببرَاهين مَعرفة الله؛ كالفطرة، وبُرهان المَظنِّ، وبُرهان الوُجوب والإمكان، وباقي البرَاهين، وحيثُ إنَّ القرآنَ الكريمَ يُفسِّرُ بعضُه بعضًا تتَّضحُ أبعادُ هذا المَوضوع. وهكذا، الآياتُ المُتعلِّقةُ بالجنّة أو النّار، والصِّراط وصَحيفة الأعمال، والآياتُ المُتعلِّقةُ بالقَضايا الأخلاقيّة والتَّقوى وحُسن الخُلق والشَّجاعة، والآياتُ المُتعلِّقةُ بأحكام الصَّلاة والصَّوم والزَّكاة والخُمس والأنفال، والآياتُ المُتعلِّقةُ بالعَدالة الاجتماعيّة وجهاد الأعداء وجهاد النَّفس...، منَ المُسلَّم به أنَّ هذه الآيات التي نزلَت في مناسباتٍ مُختلفةٍ، عندَما تُجمَعُ كلُّ طائفةٍ على حِدة، وتُنظَّم وتُفسَّر معًا، ستَنكشِفُ عنها حقائقُ جديدة»[1].

الخطوات المنهجيّة:

في سياق بَيانه لأساليب البحث التَّفسيريِّ المَوضوعيِّ يَعرض الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازي أسلوبَين، ويَختارُ الثّاني منها؛ حيثُ يقولُ: «يوجَدُ أسلوبانِ للتَّفسيرِ المَوضوعيِّ:

الأسلوب الأوّل: الذي اختارَه بعضُ المُفسِّرينَ في عملهم، هو أنَّهم يَتناوَلونَ المَواضيعَ المُختلفةَ، كالمَوضوعات العَقائديّة (التَّوحيد والمَعاد و...)، أو الموضوعات الأخلاقيّة (التَّقوى، حُسنُ الخُلق، و...)، وبعدَ ذِكْر بحوثٍ فلسفيّةٍ وكلاميّةٍ أو أخلاقيّةٍ يَذكرونَ بعضَ الآياتِ القرآنيّةِ المُرتبطةِ بالمَوضوعِ، بعنوان الشّاهد.

١ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج١، ص. ص ٨-١٠.

الأسلوب الثّاني: وهو الذي يتمُّ فيه قبلَ كلِّ شيءٍ جمعُ الآياتِ الواردةِ حولَ المَوضوعِ من جميعِ أنحاءِ القُرآن، وقبلَ أيِّ حُكمٍ أو إبداءِ نظرٍ يتمُّ جمعُ الآياتِ وتفسيرُها جنبًا إلى جنبٍ، وبجَمعِها وبمُلاحَظةِ تَرابُطِها نحصلُ منها على الصُّورةِ الكاملةِ. وهنا لا يَملكُ المُفسِّرُ شيئًا من عندِه مُطلَقًا، ويَسيرُ كالظِّلِّ خلفَ آياتِ القرآن، فيَفهم كلَّ شيءٍ من القرآن، ويكون كلُّ همِّه كشفَ مُحتوى الآياتِ، وإذا استعانَ بكلماتِ الآخَرينَ، بل حتَّى بالأحاديثِ، فهو في المَرحلةِ الثّانيةِ، وبنَحوٍ مُنفصلٍ. ونحنُ اخترنا هذا الأسلوبَ في (نفحات القُرآن)، وقد جمعْنا كلَّ الآياتِ الواردةِ في كلِّ موضوعٍ، وجعلْناها في مُقدِّمةِ كلِّ بحثٍ، وجعَلْنا كلَّ مسائلِ البحثِ تَسيرُ تحتَ ظلِّ الآياتِ، ونعتقدُ أنَّ هذا هو السَّبيلُ الأمثلُ لإيصالنا إلى حقائقِ القرآن»[1].

ومن ثَمَّ نستعرضُ مشكلاتٍ ومَصاعبَ تُواجهُ المُفسِّرَ في التَّفسيرِ المَوضوعيِّ، وهي[2]:

- التَّعبيرُ عن بعضِ المَوضوعاتِ بغَيرِ ألفاظِها، بل بمَعانيها، كما في بعض الآياتِ التي تتكلَّمُ على الجهادِ أو التَّقوى من دون أن تَذكُرَ أيَّ لفظٍ من ألفاظِهما. وهنا يَحتاجُ المُفسِّرُ إلى البَحثِ عن الآياتِ بلفظِ المَوضوعِ ومَعناهُ.
- صُعوبةُ عمليّةِ الرَّصدِ والجَمعِ لآياتِ المَوضوعِ الواحدِ، ولا سيَّما إذا كانَت كثيرةً، وكانَ لكلٍّ منها بُعدٌ خاصٌّ، فهذِه المُهمّةُ تَحتاجُ إلى دقّةٍ وتتبُّعٍ ووَعيٍ وإحاطةٍ بالآياتِ والتَّفاسير.
- عدمُ مَحدوديّةِ موضوعاتِ القُرآنِ الكريم، ففيه المَسائلُ العقديّةُ والعَمليّةُ والأخلاقيّةُ والسِّياسيّةُ والاجتماعيّةُ والاقتصاديّةُ والتّاريخيّةُ والكَونيّةُ والفَلسفيّة... وكلُّ واحدٍ منها فيه جَنباتُ بَحثٍ وأبعادٌ عديدةٌ من جِهاتٍ مُختلفة.

وبناءً على ما تقدَّمَ من كلامِ الشَّيخِ ناصر مكارم الشِّيرازي في مُرادِه من هذا الاتِّجاهِ ومُبرِّراتِه ومُعيقاتِه وأساليبِه، يمُكن استنتاجُ خطواتِه المَنهجيّةِ للبَحث التَّفسيريِّ بالآتي:

---

١ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص ١٨-١٩.

٢ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص ٢٠-٢١.

- **الخطوة الأولى:** تحديدُ المَوضوع.
- **الخطوة الثانية:** تحديدُ مَجالِه المَعرفيِّ والمَوضوعاتِ المُرتبطة به بعلاقةٍ وَثيقة.
- **الخطوة الثالثة:** رصدُ الآياتِ التي تَشترِكُ في المَوضوعِ (لَفظًا ومَعنًى)، وكذلك الآياتُ التي تشترِكُ في المَوضوعات المُرتبطةِ به.
- **الخطوة الرّابعة:** المُقارَنَةُ والمُوازَنَةُ بينَ الآياتِ في كلِّ موضوعٍ على حِدة، بعدَ بحثِ آياتِه في سياقِها الخاصِّ.
- **الخطوة الخامسة:** استخراجُ الرُّؤيةِ المَوضوعيّةِ للمَوضوعِ وللمَوضوعاتِ المُرتبطةِ به كلًّا على حِدة.
- **الخطوة السّادسة:** الرَّبطُ بينَ الرُّؤى المَوضوعيّةِ للمَوضوعاتِ المُرتبِطة.
- **الخطوة السّابعة:** تأييدُ الرُّؤيةِ القُرآنيّةِ للمَوضوعِ بما وردَ في السُّنّةِ الشَّريفةِ.
- **الخطوة الثّامنة:** تأييدُ الرُّؤيةِ القُرآنيّةِ للمَوضوعِ بالبحثِ العَقليِّ أو الفَلسفيِّ أو الكلاميِّ أو الأخلاقيِّ أو التّاريخيِّ...إلخ.

٣- نماذج تطبيقيّة لهذا الاتِّجاه

طبَّقَ الشَّيخ ناصر مكارم الشِّيرازيُّ رُؤيتَه واتِّجاهَه التَّفسيريَّ المَوضوعيَّ في موسوعتَيهِ التَّفسيريَّتَينِ: «نفحات القرآن»، و«الأخلاق في القرآن الكريم».

أ. نفحات القرآن:

بحثَ الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازي في موسوعتِه التَّفسيريّة «نفحات القرآن» مجموعةً من

موضوعاتِ أُصولِ العَقيدة المُنسجمة والمُترابطة فيما بينَها، مُعتمدًا في بَحثِها الاتِّجاهَ التَّفسيريَّ الذي تبنّاهُ بنحوٍ غالبٍ؛ فيُقدِّمُ البحثَ التَّفسيريَّ في الآيات التي تشتركُ في موضوعٍ عقديٍّ، ثمَّ يُتبعُها بالبحثِ في الرِّواياتِ، مُؤيِّدًا نتيجةَ البحثِ القرآنيِّ بها، ثمّ يبحثُ قبلَها بحثًا عقليًّا أو فلسفيًّا أو كلاميًّا أو تاريخيًّا ...إلخ، بحسبِ ما يَقتضيهِ المَوضوعُ من مُعالَجات. كما يُراعي التدرُّجَ والتَّسلسُلَ المَنطقيَّ بينَ هذه المَوضوعاتِ ومسائلِها، والمَوضوعاتِ العقديّةِ المَطروحةِ الآتية[1]:

- **العِلمُ والمَعرفة في القرآن:**
  - القرآن ووجوبُ المَعرفة وتَحصيلِ العِلم.
  - سُبُل المعرفة ومصادرُها:
    - الحِسُّ والتَّجربة.
    - العَقل.
    - التّاريخ والآثار التاريخيّة.
    - الفِطرةُ والوجدان والشُّعور الباطني.
    - الوَحيُ السَّماويّ.
    - الكَشف والشُّهود.
  - حُجُب المَعرفةِ وآفاتُها:
    - الصِّفاتُ التي تَحولُ دونَ المَعرفةِ.

١ - مراعاة للاختصار سوف يجري التفصيل في تفريعات المسائل لموضوعَي: "المعرفة والعلم"، و"معرفة الله"، دون غيرهما من الموضوعات.

- الأعمالُ التي تَحجُبُ عن المَعرفة.
- الحُجُب الخارجيّة.

■ مُؤهِّلاتُ المَعرفة:

- علاقةُ التَّقوى بالمَعرفة.
- الإيمانُ والمَعرفة.
- علاقةُ الصَّبر والشُّكر بالمَعرفة.
- المَعرفةُ تُهيِّئُ الأرضيّةَ للمَعرفةِ.
- علاقةُ الخَوفِ بالمَعرفة.

■ معرفةُ اللهِ في القرآن:

- دوافعُ البحثِ عن اللهِ:
- الدّافعُ العقليُّ.
- الدّافعُ العاطفيُّ.
- الدّافعُ الفِطريُّ.

■ براهينُ معرفةِ الله:

- بُرهانُ النُّظُم.
- بُرهانُ التَّغييرِ والحَركة.

- بُرهانُ الوجوبِ والإمكانِ.
- بُرهانُ العِلّةِ والمَعلول.
- بُرهانُ الصّدقينِ.
- الفِطرة.

■ التَّوحيد في القرآن:

- موقفُ القرآنِ من الشِّركِ.
- دلائلُ التَّوحيد:
- الفِطرة.
- بُرهانُ التَّناسُقِ والوَحدة.
- بُرهانُ التَّمانُعِ.
- بُرهانُ صرفِ الوُجودِ.
- دليلُ الفيضِ والهِداية.
- بُرهانُ التَّركُّبِ.

■ مَصادرُ الشِّركِ ودَوافعُه:

* اتِّباعُ الوَهمِ والظَّنِّ.
* اتِّباعُ الحِسِّ.

* اتِّباعُ المَصالحِ الوَهميّةِ.
* التَّقليدُ الأعمى.
* الاستعمارُ.
* اتِّباعُ الهَوى.

■ فروعُ التَّوحيدِ:

* توحيدُ الذّاتِ والصِّفاتِ.
* التَّوحيدُ في العبادة.
* تَوحيدُ الأفعالِ (الخالقيّة والرُّبوبيّة).
* توحيدُ المالكيّة والحاكميّة التَّكوينيّة.
* توحيدُ التَّقنينِ (الحاكميّة التَّشريعيّة).
* توحيدُ الطّاعة.

- معرفةُ الصِّفاتِ الجَماليّةِ والجَلاليّةِ في القرآن.
- المَعادُ في القُرآن.
- النُّبوّةُ العامّةُ في القرآن.
- النُّبوّةُ الخاصّةُ في القرآن.
- الوِلايةُ والإمامةُ في القرآن.

- الحكومةُ الإسلاميّةُ في القرآن.

ونكتفي بمثال ممّا تقدَّمَ من موضوعاتٍ ومسائلَ مُتفرِّعةٍ عنها، فنأخذُ موضوعَ «برهان الوَحدة والتَّناسُقِ وبُرهانَ التَّمانُعِ» على «وحدانيّةِ الله تعالى»[1]، حيثُ اعتمدَ الشَّيخُ الشِّيرازيُّ الخطواتِ الآتيةَ:

- تمَهيد: عرَّفَ فيه بُرهانيَ «الوَحدة والتَّناسق» و«التَّمانُع»، معَ بيانِ خصائصِهما في الاستدلالِ على وحدانيّةِ الله تعالى، فهُما مُتَّحدان جَوهَرًا ومُحتوًى، ولكنْ يَختلفانِ في النَّظرةِ، فالأوَّلُ يَنطلقُ من العالَمِ إلى المَبدأ، والثّاني يَنطلقُ من المَبدأ إلى العالَمِ.
- رصدُ الآياتِ المُرتبطةِ بالمَوضوعِ وجَمعُها، وهي: (سورة الملك: الآيتان ٣-٤)، (سورة الأنبياء: الآيتان ٢١-٢٢)، (سورة المؤمنون: الآية ٩١).
- بحثُ كلٍّ منها في سياقِها الخاصِّ، بعدَ بيانِ مُفرداتها على مُستوى البَحث اللُّغويِّ والقُرآنيِّ، ولا سيَّما مُفردتا «الفطرة»، و«الإله»، حيثُ تَدعو الآيةُ الأولى إلى النَّظرِ في عالَمِ الوُجودِ؛ وما به من تناسُقٍ وانسجامٍ يُؤشِّرُ على وحدةِ المَبدأ. وتُؤكِّدُ الآيتانِ التّاليتانِ على أنَّ فرضَ التَّعدُّدِ في الآلهةِ يَستلزِمُ الفَسادَ في السَّماواتِ والأرضِ وعُلُوَّ الآلهةِ بعضِهم على بعضٍ، فالنَّتيجةُ بُطلانُ القولِ بتعدُّدِ الآلهةِ وثبوتُ وَحدةِ الإله.
- المُقارنةُ والمُوازنةُ بينَ الآياتِ، واستنتاجُ الرُّؤيةِ القُرآنيّةِ على وحدانيّةِ الله، انطلاقًا من بطلانِ فرضِ التَّعدُّدِ وما يَستلزِمُه من فسادِ السَّماواتِ والأرضِ، وبطلانِ الوَحدةِ والانسجامِ في العالَمِ الذي يُؤشِّرُ على وحدةِ المَبدأ.
- تأييدُ نتيجةِ البحثِ القرآنيِّ وتأييدُه بتَقديمِ إيضاحاتٍ علميّةٍ في وحدةِ عالَمِ الخَلق: تَرابُطُ أجرامِ المَجموعةِ الشَّمسيّةِ، وتَرابُطُ المَجرّاتِ الكونيّةِ، وتركُّبُ الأجسامِ المُختلفةِ من عددٍ من العناصرِ المُختلفةِ التي تَنتهي رغمَ اختلافِها الشَّديدِ في الظّاهرِ إلى أجزاءٍ

١ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج٣، ص. ص ١٦١-١٧٣.

مُتشابهة ومُنسجمة فيما بينَها، ووجودُ نظامِ الجَذبِ والطَّردِ بينَ أكبرِ الكُتلِ إلى أصغرِها، ورجوعُ الألوانِ المُختلفةِ إلى أمواجٍ وأطيافٍ تَختلفُ في شدّةِ ذَبذبتِها وطولِ أمواجِها أو قِصَرِها، وغيرُها من الحقائقِ العِلميّةِ التي تدلُّ على وحدةِ العالَمِ وتناسُقِ أجزائِه.

- الإجابةُ عن بعضِ الأسئلةِ والشُّبهاتِ الكلاميّةِ المَطروحةِ على عدمِ استحالةِ فَسادِ النِّظامِ معَ القولِ بالتَّعدُّدِ، والرُّجوعُ إلى الآيتَينِ لنَفيِ التَّعدُّدِ، وإثباتِ الوَحدة.
- تأييدُ البحثِ القُرآنيِّ ببحثِ بُرهانِ التَّمانُعِ والوَحدةِ والتَّناسُقِ في الرِّواياتِ الشَّريفةِ.
- بحثُ موضوعاتٍ أُخرى مُرتبطةٍ بهذا المَوضوعِ، كالبَراهينِ الأُخرى على وَحدانيّةِ اللهِ تعالى: (الفِطرة/ صَرف الوجودِ/ الفَيض والهِداية/ التَّركُّب).

ب. الأخلاق في القرآن الكريم:

تَناوَلَ الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازيُّ في موسوعتِه التَّفسيريّة «الأخلاق في القرآن الكريم» مجموعةً من موضوعاتِ الأخلاقِ النَّظريّةِ والتَّطبيقيّةِ المُرتبطةِ فيما بينَها، مُعتمدًا في بَحثِها الاتِّجاهَ التَّفسيريَّ الذي تبنّاهُ بنحوٍ غالبٍ؛ فيُقدِّمُ البَحثَ التَّفسيريَّ في الآياتِ التي تَشتركُ في الموضوعِ الأخلاقيِّ، ثمَّ يُؤيِّدُ نتيجتَه بالبَحثِ الرِّوائيِّ، ومِن ثَمَّ يَتناوَلُ البحثَ من وجهةِ نظرِ علمِ الأخلاق. معَ مراعاتِه التَّدرُّجَ في عرضِ المَسائلِ الأخلاقيّةِ، فيَبدأُ بالمَسائلِ النَّظريّةِ، ثمَّ التَّطبيقيّةِ، وكذلك يُراعي التَّدرُّجَ والتَّمهيدَ في بحثِ المَوضوعاتِ ومَسائلِها الفَرعيّةِ، ورَبطَ بعضِها ببعضٍ، على مستوى الدَّوافعِ والأسبابِ، كأنْ يَكونَ ناشئًا ومُنبعثًا من خُلُقٍ آخرَ مَذمومٍ، أو على مستوى الآثارِ، كأنْ يكونَ مُؤدِّيًا إلى تَورُّطِ صاحبِه في سُلوكيّاتٍ أُخرى مَذمومةٍ. والمَوضوعاتُ الأخلاقيّةُ المَطروحةُ هي الآتية:

- أصول المسائل الأخلاقيّة (القِسم النَّظريّ):
  - أهمِّيّة الأبحاثِ الأخلاقيّة.
  - دَور الأخلاقِ في الحياة والحضارة الإنسانيّة.

- المَذاهب الأخلاقيّة.
- دَعائمُ الأخلاق.
- الأخلاق والحرِّيّة.
- أُصول الأخلاق.
- ارتباط المسائل الأخلاقيّة بعضِها ببعضٍ.
- منطلق التَّعامُلِ معَ المسائل الأخلاقيّة.
- تنوُّع طُرقِ أرباب السَّيرِ والسُّلوك.
- المرُشِد الأخلاقيُّ.
- العَناصِرُ اللاّزمةُ لتَربيةِ الفَضائل.
- الخُطا العَمليّة في طريقِ التَّهذيبِ الأخلاقيّ.
- القُدوة في خطِّ الاستقامة.
- الوجهُ الآخَرُ للوِلايةِ ودَورُه في تَهذيبِ النُّفوسِ.

■ فروعُ المَسائلِ الأخلاقيّة (القِسم التَّطبيقيُّ):

- التَّكبُّر والاستكبار والتَّواضع.
- الحِرص والقَناعة.
- حبُّ الدُّنيا.

- الحَسد.
- الغُرور والعَجب.
- طولُ الأمَل.
- التعصُّب والعِناد.
- الجُبن والشَّجاعة.
- ضعفُ النَّفسِ والتوكُّل على الله.
- الشَّهوة والعَفاف.
- العِفّة.
- الغَفلة.
- البُخل والشُّحّ.
- الجُود والسَّخاء.
- العَجلة والتسرُّع.
- الصَّبر والتأنيِّ.
- حبُّ الجاهِ.
- التَّبريرُ والعِناد.
- الشُّكرُ وكُفرانُ النِّعمة.

- الغَيبة والتَّنابُزُ بالألقاب.
- حسنُ الخُلقِ وسُوء الخُلق.
- الأمانةُ والخِيانة.
- الصِّدق.
- الوَفاء بالعَهد ونقضُ العَهد.
- البَحث المَنطقيُّ والجدالُ والمِراء.
- النَّميمةُ وإصلاحُ ذاتِ البَينِ.
- سوءُ الظنِّ وحُسنُ الظنِّ.
- التَّجسُّس.
- الحلمُ والغضَب.
- العفوُ والانتقام.
- الغَيرةُ وعدمُها.
- الأُلفةُ والانفراديّة.

ونكتفي بمثال على موضوعٍ أخلاقيٍّ طرحَه الشَّيخُ الشِّيرازيُّ، فنأخذُ موضوعَ «التكبُّرِ»[1]، حيثُ بحثَه وفقَ الخطواتِ الآتية:

■ تعريفٌ مُوجزٌ بالمَوضوعِ (التكبُّر)، وبيانُ مَفاسدِهِ إجمالاً على الفَردِ والمُجتمع.

١ - ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن الكريم، ج٢، ص. ص ٩- ٦٦,

- رصدُ الآياتِ التي تَشترِكُ في هذا المَوضوعِ، وجمعُها؛ وهي: (سورة البقرة: الآية ٣٤)، (سورة الأعراف: الآيتان ١٣، ٨٨)، (سورة نوح: الآية ٧)، (سورة فصّلت: الآية ١٥)، (سورة العنكبوت: الآية ٣٩)، (سورة المائدة: الآية ٨٢)، (سورة المدّثّر: الآيات ٢٢-٢٤)، (سورة غافر: الآية ٣٥)، (سورة الزمر: الآية ٧٢)، (سورة الأعراف: الآية ١٤٦)، (سورة النحل: الآية ٢٣)، (سورة الأعراف: الآية ٤٠).
- بحثُ الآيات في سياقاتِها الخاصّة، بعدَ تناوُلِ مُفرداتِها بالبَحثِ اللُّغويِّ والدَّلاليِّ.
- المُقارنةُ والمُوازنةُ بينَ الآياتِ، واستنتاجُ الرُّؤيةِ القُرآنيّة؛ وهي: أنَّ التكبُّرَ من أقبحِ الصِّفاتِ والأعمالِ على المُستوى البشريِّ، وهو مصدرٌ لكثيرٍ من الذُّنوبِ العَظيمة، وقد يُورِثُ الإنسانَ الكفرَ بالله تعالى. والأشخاصُ الذينَ يَعيشونَ حالةَ التكبُّرِ لا يَتسنَّى لهم إدراكُ السَّعادةِ الحَقيقيّة، ويُوصَدُ أمامَهُم طريقُ القُربِ الإلهيِّ. لذا لا بدَّ للسالكينَ طريقَ الحقِّ من أن يُطهِّروا أنفسَهم وقلوبَهم من تلوُّثاتِ هذه الصِّفةِ القَبيحة، بألّا يَرَوا لأنفسِهم تفوُّقًا على الآخَرينَ، ولا يَنطلِقُوا في تعامُلِهم معَهُم من مَوقعِ التَّكبُّرِ والأنانيّة.
- تأييدُ نتيجةِ البحثِ القرآنيِّ بالبحثِ الرِّوائيِّ.
- تأييدُ نتيجةِ البَحث القرآنيِّ بمَنطقِ العَقلِ.
- تأييدُ نتيجةِ البحثِ القرآنيِّ بالبَحثِ الأخلاقيِّ، وفيه:
  - تعريفُ التكبُّرِ وحقيقتُه.
  - أقسامُ التكبُّرِ.
  - التكبُّرُ على مَن؟
  - دوافعُ التكبُّرِ.
  - جذورُ التكبُّر.

- نتائجُ التكبرُّ وعَلائمُه.
- مفاسِدُ التكبرُّ وعواقبُه الوَخيمة.
- علاجُ التكبرُّ.
- الاختباراتُ العِلاجيّةُ للتكبرُّ.

■ بحثُ موضوعٍ آخَرَ مُرتبطٍ بالتكبرُّ، وهو التَّواضُع.

٤- تَقويم هذا الاتِّجاه

بعدَما تقدَّمَ من تَنظيرٍ وتَطبيقٍ لهذا الاتِّجاهِ التَّفسيريِّ، يمُكن إيرادُ المُلاحظاتِ الآتيةِ:

■ عدمُ وضوحِ دورِ الواقعِ في تحديدِ إشكاليّاتِ المَوضوعِ وأسئلته وفقَ هذا الاتِّجاه، بل هو أقرَبُ إلى استخراجِ المَوضوعِ، فَضلاً عن الرُّؤيةِ، من القرآن، ولا سيَّما أنَّه يَرى البحثَ العقليَّ أو الفلسفيَّ أو الأخلاقيَّ أو الكلاميَّ ..إلخ، بَحثًا لاحِقًا على البَحثِ القرآنيِّ، مُويِّدًا له.

■ النَّظرُ إلى السُّنّة الشَّريفةِ في مرتبةٍ ثانيةٍ بعدَ النَّظرِ القُرآنيِّ، وذلك من خلال تَعقيبِ البحثِ القرآنيِّ بالبحثِ الرِّوائيِّ من بابِ التأييد، لا الاستكشافِ والاستخراجِ للرُّؤيةِ المَوضوعيّة. وهذا لا يَنسجمُ معَ ضرورةِ النَّظرِ الجَمعيِّ بمنظارِ القرآن والسُّنّة لأيِّ حادثةٍ أو واقعةٍ أو قضيّةٍ تتطلَّبُ جَوابًا وحلاًّ؛ حسبَما وردَ في النُّصوصِ الدِّينيّةِ المُتواترةِ (رواياتِ الثقلينِ/ القرآن النّاطق/ عدل القرآن/ ...).

■ عدمُ الاقتصارِ في بحثِ التَّفسيرِ الارتباطيِّ بمَوضوعاتِ القرآنِ على بحثِ كلِّ موضوعٍ في القرآنِ على حِدة، ثمَّ مقارنةِ الرُّؤى المَوضوعيّةِ للمَوضوعاتِ المُرتبطة، بل لا بُدَّ من لحاظِ المَوضوعاتِ الأُخرى المُرتبطةِ، والآياتِ التي تشتركُ فيه عندَ النَّظرِ إلى آياتِ

المَوضوعِ المَبحوثِ، ومن ثَمَّ استخراج رُؤيةٍ قُرآنيّةٍ فيه على ضوء الآياتِ التي تشتركُ فيه والمَوضوعاتِ المُرتبِطةِ به بنَظرةٍ جَمعيّةٍ.

- أنَّه لم يَلتزمْ في بعض الأحيان بتَراتبيّةِ خُطواتِ بَحثه، بأنْ يَبحثَ أوّلًا في الآياتِ، ثمَّ تأييدها بالبَحثِ الرِّوائيِّ والبَحثِ العَقليِّ أو الفَلسفيِّ أو الكلاميِّ أو الأخلاقيِّ أو التّاريخيِّ..إلخ، ففي بعضِ المَوضوعاتِ يُقدِّمُ البحثَ التأييديَّ على البحثِ القرآنيِّ، كما في بحثه عن دلالةِ بُرهانِ النُّظمِ على مَعرفةِ الله تعالى، حيثُ يُقدِّم البحثَ العَقليَّ والعلميَّ والكلاميَّ في البُرهان، ثمَّ يُؤخِّرُ البحثَ القُرآنيَّ[1]. وفي موضوعاتٍ أُخرى يُؤخِّرُ البحثَ الرِّوائيَّ إلى ما بعدَ البحثِ العلميِّ أو الكلاميِّ أو غيرِهما، كما في بحثه عن دلالةِ بُرهانِ الوَحدةِ والتَّناسُقِ والتَّمانُعِ على وحدانيّةِ الله تعالى الذي تَقدَّمَ ذكرُه[2]. وربمَّا يَغيبُ البَحثُ القرآنيُّ في مَسائلَ أُخرى، كما في موضوعِ «الأخلاقِ والحرِّيّة»[3]، و«ارتباطُ المَسائلِ الأخلاقيّةِ بعضِها ببعضٍ»[4].

- أنَّه أهملَ أبعادًا أُخرى مُهمّةً في النَّظرةِ القُرآنيّةِ، كالارتباطِ بينَ مَحاورِ القُرآنِ، والجَمعِ بينَ القرآنِ والسُّنّةِ، وغيرِهما.

وعلى الرَّغمِ ممّا تقدَّمَ، يَبقى هذا الاتِّجاهُ التَّفسيريُّ، الذي طرحَهُ الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازيُّ، له حضورُه في السّاحةِ التَّنظيريّةِ والتَّطبيقيّةِ المُعاصرةِ للتَّفسيرِ المَوضوعيِّ، ويَستحقُّ الوقوفَ عندَه بالدِّراسةِ والتَّطويرِ؛ وهو ما دَعا إليه بقولِه: «أمّا النَّوعُ الرّابعُ (ويَقصدُ هذا الاتِّجاهَ)، والخامسُ (سيأتي الحَديثُ عنه)، فلم يَحظَيا باهتمامِ المُفسِّرينَ بعدُ، وهذا العملُ يقعُ على عاتقِ الجيلِ الحاضرِ وأجيالِ المُستقبلِ، بأنْ يتطرَّقُوا إليه، بعدَ تكامُلِ التَّفسيرِ المَوضوعيِّ بما فيه الكفاية، ويَقومونَ بأداءِ حقِّه بالمِقدارِ المُمكن»[5].

---

١ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج٢، ص. ص ٣٩- ٣٧٥.
٢ - ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن الكريم، ج٣، ص. ص ١٦١-١٧٣.
٣ - ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، ج١، ص. ص ٧٥-٨٢،
٤ - ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، ج١، ص. ص ٩٩-١٠١.
٥ - ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، ج١، المقدّمة، ص٧.

ثانيًا: التَّفسير المَوضوعيُّ الارتباطيُّ بين محاورِ القُرآن:

١- المُراد من هذا الاتِّجاه

أوَّلُ مَن نظَّرَ لهذا الاتِّجاه العلامةُ الطَّباطبائيُّ قدّس سرّه في مُقدِّمة تَفسيرِه الميزان، حيثُ قسَّمَ مَعارفَ القرآن الكريم إلى ثمَانيةِ محاورَ أساسيّةٍ، يتضمَّنُ كلُّ محورٍ منها مَوضوعاتٍ عدّةً، بينَها ارتباطٌ وَثيقٌ، بحيثُ تَدورُ مَدارَ الهِدايةِ الإلهيّةِ التَّكوينيّةِ والتَّشريعيّةِ للإنسانِ، وسَيرِه في عَوالِمِ الوجودِ نحوَ مَقصدِه الكماليِّ[1].

ثمَّ قدَّمَ آيةُ اللهِ الشَّيخُ محمَّد تقيّ مصباح اليزدي قدّس سرّه إضافاتٍ مَنهجيّةً وتَطبيقيّةً مُهمّةً على هذا الاتِّجاه، من خلالِ اعتمادِ محوريّةِ اللهِ أساسًا لمَحاورِ القُرآنِ كافّةً، وتدرَّجَ في عرضِ مَحاورِ القُرآن، من العامِّ إلى الخاصِّ، وربطَ مَوضوعاتِ كلِّ محورٍ ببَعضِها، وربَطَ الجميعَ بمحوريّةِ اللهِ رَبطًا عِلّيًّا وُجوديًّا[2].

٢- مُبرِّرات طَرحِ هذا الاتِّجاه:

إنَّ طرحَ البَحثِ التَّفسيريِّ، وفقَ هذا الاتِّجاه، له مُبرِّراتُه المَوضوعيّةُ، وهي:

- **تَسهيلُ تعلُّمِ مَعارفِ القُرآنِ وفَهمِها وتَطبيقِها في الحياة:**

فتَقديمُ مَعارفِ القرآن الكريم، من قِبَل المُفسِّرينَ، بنحوٍ مُتفرِّقٍ ومُبعثرٍ؛ سوف يَجعل تعلُّمَها وفَهمَها والاستفادةَ منها أمرًا غيرَ مُتيسِّرٍ للنّاسِ. لذا، لا بدَّ من تَقديمِها ضمنَ نظامٍ مُحكَمٍ مُنسجمٍ ومُترابطٍ؛ يُسهِّلُ على النّاسِ تَعلُّمَها وفَهمَها وتَطبيقَها في حياتِهم، ويأخذُ بيدِهم في ذلكَ ليُحقِّقَ فيهِم هدفَ القُرآنِ والإسلامِ، بهدايتِهم إلى كمالِهم وسعادتِهم.

---

١ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، المقدّمة، ص١٣.
٢ - محمد تقي اليزدي، معارف القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص١٥-٢٠.

■ **تَقديم معارفِ القرآنِ بنَحوٍ واضحٍ لا يَعتورُه الشكُّ في نسبتِها إليه:**

فتَقديمُ معارفِ القرآنِ الكريمِ بنحوٍ مُبعثرٍ ومُتفرِّقٍ ومُنفصلٍ بعضُها عن بعضٍ، قد يَنشأ عنه إثارةُ بعضِ الشكِّ والظنِّ والاشتباهِ في الفَهم، في حين أنَّ تَقديمَها ضمنَ نظامٍ مُحكَمٍ مُنسجمٍ ومُترابطٍ، يَنتفي معَه كلُّ شكٍّ وظنٍّ واشتباهٍ، بل يَحصل معَه فهمٌ واضحٌ ومَتينٌ لِما يَطرحُه القرآنُ.

■ **تَقديم معارفِ القرآنِ ضمنَ نظامٍ مُحكَمٍ مُنسجمٍ ومُترابط:**

فبعضُ التيّاراتِ الفكريّةِ المُنحرفة تُحاولُ أن تُقنعَ النّاسَ بأفكارِها وأُطروحاتِها من خلالِ إضفاءِ طابعِ النِّظامِ والانسجامِ والتَّرابُطِ على ما تُقدِّمُه لَهم؛ فتُوهِمُهم بنَجاعةِ رُؤيتِها واستجابتِها لاحتياجاتِهم العَصريّة، معَ أنَّها تَحملُ في داخلِها تَناقُضاتٍ ومُغالَطاتٍ وأفكارًا مُنحرفةً لا تمَتُّ إلى الحقيقةِ بصِلة! فمِن هنا، لا بدَّ من تَقديمِ مَعارفِ القرآنِ للنَّاسِ في نظامٍ مُحكَمٍ مُنسجمٍ ومُترابطٍ، يُغنيهِم عن الرُّجوعِ إلى ما تُقدِّمُه هذه التيّاراتُ الفكريّةُ، ويُحرِّرُهم من مُغالطاتِها وتَناقُضاتِها.

يَقولُ الشَّيخُ اليزديُّ مُوضِّحًا مُبرِّراتِ طرحِ هذا الاتِّجاه: «ما نَحتاجُ إليه هو تَقديمُ مَواضيعَ لا يَرقى إليها الشكُّ في انتسابِها للقرآن، ولا تكونُ في نفسِ الوَقتِ مُبعثرَةً، لا نظامَ يَسودُها، ولا رابطَ يَجمعُها؛ وذلكَ لأنَّنا إذا قدَّمْنا مَواضيعَ مُبعثرَةً، فعَلاوةً على أنَّ تعلُّمَها يُصبحُ أمرًا مُشكلاً وصَعبًا؛ فإنَّها تَفتقدُ تلكَ الفائدةَ الحاصلةَ من نظامٍ فِكريٍّ صَحيحٍ ومُنسجِمٍ، يُواجِهُ تيّاراتٍ فكريّةً خاطئةً.

نحنُ نلاحظُ أنَّ جميعَ المذاهبِ المُنحرفةِ تُحاولُ إضفاءَ النِّظامِ والانسجامِ على أفكارِها، أي أنَّهم يَعرضونَ لمَواضيعهم قاعدةً وأساسًا، ثمَّ يُوجدونَ من مجموعةٍ من المَسائلِ المُرتبطةِ المُنسجمةِ كلًّا واحدًا مُنظَّمًا مُترابطًا. لذا يَجبُ علينا - ونحن سائرونَ في الاتِّجاهِ الصَّحيحِ المُستقيمِ- أن نقومَ بنَفسِ الشَّيءِ في مُقابلِهم؛ أي أن نقومَ بعَرضِ مَعارفِ القُرآنِ بشكلِ نظامٍ فكريٍّ مُنسجمٍ ومُترابطٍ، بحيثُ يَستطيعُ الباحثُ أن يَبدأ من نُقطةٍ مُعيَّنة، ثمَّ يَسيرُ بشكلٍ مُتسلسلٍ، فيَربطُ حلقاتِ مَعارفِ الإسلامِ ببَعضِها، ويَصل في خاتمةِ المَطافِ إلى هدفِ الإسلامِ والقرآن.

إذنْ نحنُ مُضطرُّونَ لتَبويبِ المَعارفِ القرآنيّةِ، وإضفاءِ شكلٍ مُنظَّمٍ عليها، ليَغدُوَ تعلُّمُها سَهلاً

للشَّبابِ الذين لا يَملكونَ إلا وقتًا قَصيرًا لإنفاقِه في هذِه المَجالاتِ، وليُمكِنَ عرضُها في مقابلِ المَذاهبِ الفِكريّةِ الأُخرى»[1].

٣- لحاظات تقسيمِ المَحاورِ القرآنيّة في هذا الاتِّجاه

بالرُّجوعِ إلى ما ذكرَهُ العلامةُ الطَّباطبائيُّ في مقدِّمةِ تَفسيرِه «الميزان»، وما ذكرَه الشَّيخُ اليزديُّ في مقدِّمةِ تَفسيرِه «معارف القرآن»، يُمكِنُ بيانُ أربعةِ لحاظاتٍ لتَقسيمِ المَحاورِ القُرآنيّةِ، وهي:

أ- محوريّة «الهِداية الإلهيّةِ التَّكوينيّةِ والتَّشريعيّةِ للإنسان»:

يُقسِّمُ العلاّمةُ الطَّباطبائيُّ المَعارفَ القرآنيّةَ إلى:

١. المعارفِ المُتعلِّقةِ بأسماءِ الله سبحانَه وصِفاته: من الحياةِ، والعلمِ، والقُدرةِ، والسَّمعِ، والبَصرِ، والوَحدةِ، وغيرِها، وأمّا الذّاتُ فستطَّلِعُ أنَّ القرآنَ يَراهُ غَنيًّا عن البيانِ.

٢. المَعارفِ المُتعلِّقةِ بأفعاله تعالى: من الخَلق، والأمرِ، والإرادةِ، والمَشيئةِ، والهِدايةِ، والإضلالِ، والقَضاءِ، والقَدرِ، والجَبرِ، والتَّفويضِ، والرِّضا، والسّخط، إلى غيرِ ذلكَ من مُتفرِّقاتِ الأفعالِ.

٣. المَعارفِ المُتعلِّقةِ بالوَسائطِ الواقعةِ بينَه وبينَ الإنسان: كالحُجُب، واللَّوحِ، والقَلمِ، والعَرشِ، والكرسيِّ، والبيتِ المَعمورِ، والسَّماءِ، والأَرضِ، والمَلائكةِ، والشَّياطينِ، والجِنِّ، وغيرِ ذلك.

٤. المَعارفِ المُتعلِّقةِ بالإنسانِ قبلَ الدُّنيا.

---

١ - محمد تقي اليزدي، معارف القرآن، ج١، المقدّمة، ص١٠.

٥. المَعارِف المُتعلِّقة بالإنسان في الدُّنيا: كمَعرفة تاريخ نَوعه، ومعرفة نفسه، ومعرفة أُصول اجتماعه، ومعرفة النُّبوّة، والرِّسالة، والوَحي، والإلهام، والكتاب، والدِّين، والشَّريعة. ومن هذا الباب: مَقاماتُ الأنبياء المُستفادةُ من قِصَصِهم المَحكيَّة.

٦. المعارِف المُتعلّقة بالإنسان بعدَ الدُّنيا: وهو البَرزخُ والمَعادُ.

٧. المعارِف المُتعلِّقة بالأخلاق الإنسانيّة: ومن هذا الباب ما يتعلَّقُ بمَقامات الأولياء في صِراط العُبوديّة؛ مِن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والإخبات، والإخلاص، وغير ذلك.

٨. وأمّا آياتُ الأحكام (أي المَعارفُ المُتعلِّقةُ بتَكاليف الإنسان الفَرديّة والاجتماعيّة)، فقد اجتَنَبْنا تفصيلَ البَيان فيها لرُجوع ذلكَ إلى الفِقه»[1].

ففي هذا التَّقسيم يَلحَظُ العلامةُ الطَّباطبائيُّ هدفَ القرآن، وهو الهدايةُ الإلهيّةُ للإنسان، بوَصفه محورًا جامعًا لمَحاور القُرآن؛ فيُرتِّبُ مَحاورَه عليه، تَبعًا لَلسَّير التَّكامُليِّ المَطلوب للإنسان، من الله وإليه، فيَبدأُ من معرفة الله وصِفاته، ثمَّ أفعاله المُرتبطة بالإنسان أو بالأشياء التي تتوسَّطُ بينَه تعالى وبينَ الإنسان، ثمَّ هداية الإنسان في سَيرِه في العَوالِم الوُجوديّة (قبلَ الدُّنيا، في الدُّنيا، بعدَ الدُّنيا)، تكوينًا وتَشريعًا، في العَقائد والأخلاق والأحكام.

وهذا الطَّرحُ لهذه المَحاور هو طَرحٌ عَرْضِيٌّ، أي بعضُها في عَرْضِ بعضٍ، وليسَ بنَحوٍ طُوليٍّ عِلِّيٍّ، كما نجدُ في طرحِ الشَّيخِ اليزديِّ للمَحاورِ القُرآنيّة؛ بمِحوريّة «الله تعالى».

ب. مِحوريّةُ «الله تعالى»:

يُقسِّمُ الشَّيخُ اليزديُّ المَحاورَ القرآنيّةَ، بلحاظ عِلِّيٍّ وُجوديٍّ، فيَجعَلُ المِحورَ الأوَّلَ والمَركزيَّ هو «اللهُ تعالى»، ومِن ثَمَّ يُفرِّعُ المَحاورَ الأُخرى عليه، تَفريعًا وُجوديًّا، من العامِّ إلى الخاصِّ، حيثُ يَقول: «وعلى هذا الأساسِ نَستطيعُ أن نَقترِحَ النِّظامَ الآتي للمَعارِف القُرآنيّة:

١ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، المقدّمة، ص١٣.

١. مَعرفةُ الله: وتَشمُلُ هذِه المَواضيعَ: مَعرفةَ اللهِ، والتَّوحيدَ، وصِفاتِ الله، وكُلِّيّاتِ الأفعالِ الإلهيّةِ.

٢. مَعرفةُ العالَمِ: وتَشملُ هذه المَواضيعَ: خَلقَ العالَمِ (الأرضِ والسَّماواتِ والنُّجومِ)، والظَّواهِرَ الجَوّيّةَ (الرَّعد والبرَق والرِّياح والمَطر و...إلخ)، والظَّواهِرَ الأرضيّةَ (الجبال والبِحار و...إلخ)، ونتعرَّضُ أثناءَ ذلكَ للعَرشِ والكُرسيِّ والمَلائكةِ والجِنِّ والشَّيطانِ (...).

٣. معرفةُ الإنسانِ: وتَشملُ هذه المَواضيعَ: خلقَ الإنسانِ، خَواصَّ الرُّوحِ، كرامةَ الإنسانِ ومَنزلتَه الرَّفيعةَ، مَسؤوليّتَه وشُروطَ هذه المَسؤوليّةِ (الوَعي - القُدرة على العَملِ - الاختيار)، الأبعادَ المُختلفةَ لوُجودِ الإنسانِ، السُّنَنَ الإلهيّةَ في التَّدبيراتِ الفَرديّةِ والاجتماعيّةِ، المَعادَ والمَصيرَ النِّهائيَّ للبَشريّةِ. ويتضمَّنُ هذا الفَصلُ بيانَ أنَّ الحياةَ مُقدِّمةٌ للآخرةِ، ومَرحلةٌ يتحتَّمُ على الإنسانِ أن يَختارَ فيها بإرادته طريقَ السَّعادةِ، وأن يَصوغَ أثناءَها مَصيرَه النِّهائيَّ، وتَدورُ التَّدبيراتُ الإلهيّةُ في هذا العالَمِ حولَ مِحورِ تأمينِ مُقدِّماتِ الاختيارِ (الابتلاء والامتحان).

٤. معرفةُ الطَّريقِ: وتَشملُ هذه المَواضيعَ: العلومَ العاديّةَ (ألوانَ العِلمِ الحُضوريِّ والحُصوليِّ المُتعارَفة)، وغيرَ العاديّةِ (الإلهامَ والوَحيَ)، ومسألةَ النُّبوّةِ، وضَرورةَ بعثةِ الأنبياءِ والهَدفَ منها، والمَناصِبَ المُسنَدةَ إليهم أيضًا (النُّبوّة، الرِّسالة، الإمامة)، ونَتناوَلُ بالبَحثِ أيضًا مسائلَ الإعجازِ والعِصمةِ، وفي خاتمةِ المَطافِ نَبحثُ عمَّن يَخلفُ الأنبياءَ (الإمامة بمَعناها الخاصّ)(...).

٥. مَعرفةُ الدَّليلِ على الطَّريقِ: وتَشمُلُ هذه المَواضيعَ: تاريخَ الأنبياءِ، مَيّزاتِ كلِّ واحدٍ منهم، والكتابَ المُنزَلَ عليه ومُحتوياته، ومن ذلكَ تاريخُ نبيِّ الإسلامِ (ص) والحوادثُ الواقعةُ في عَصرِه، ونَتناوَلُ ضِمنًا تاريخَ الأُممِ والشُّعوبِ الواردِ ذِكرُها في القرآنِ، وسائرِ قَصصِ القُرآنِ الكريم (...).

٦. مَعرفةُ القرآن: وتَشمُلُ هذه المَواضيعَ: الدِّراساتِ العامّةَ حولَ القُرآن وخَصائصه، الهَدفَ من نُزوله، كيفيّةَ نُزوله، إعجازَه، عالَميّتَه، أبديّتَه، أسلوبَ بَيانه (الاستدلالَ العَقليَّ، المَوعظةَ، الجَدلَ، التَّمثيلَ، القَصص، و...إلخ)، ومواضيعَ المُحكَم والمُتشابه والتأويل (...).

٧. الأخلاقُ أو صياغةُ الإنسان في القرآن: وتَشملُ هذه المَواضيعَ: مَعرفةَ الذّات وصياغتَها، الخيرَ والشَّرَّ في الأفعال الاختياريّة، وعلاقةَ ذلكَ بالكَمال والسَّعادة النِّهائيّة، أسلوبَ التَّربية والتَّزكية في القرآن (إيقاظَ الدَّوافع الباعثة على الخَير بوساطة الإنذار والتَّبشير)، دَورَ الإيمان والعَمل، وبَيانَ علاقة أحدهما بالآخَر، وعلاقةِ كلٍّ منهما بالعِلم، ونَختمُ بذكرِ تَفاصيلِ الأخلاقِ الفاضلة والرَّذيلة (...).

٨. البَرامجُ العِباديّةُ في القرآن: وتَشملُ هذه المَواضيعَ: الصَّلاةَ، والصِّيامَ، والحجَّ، والتَّضحيةَ، والدُّعاءَ، وأمثالَها من الأعمال التي يُقصَد منها أساسًا علاقةُ الإنسان بالله، ولو أنَّها تتضمَّنُ مَصالحَ اجتماعيّةً كثيرةً.

٩. الأحكام الفَرديّةُ في القرآن: وتَشملُ مَواضيعَ من قَبيل: الحَلال والحرام من المَأكولات والمَشروبات (الأطعمة والأشربة والصَّيد والذِّباحة)، والتَّجمُّل والزِّينة.

١٠. الأحكام الاجتماعيّةُ في القرآن: وتَشملُ المَواضيعَ الاجتماعيّةَ والقانونيّةَ والسِّياسيّةَ والاقتصاديّةَ، وتَنقسِمُ إلى الأبوابِ الفَرعيّة الآتية:

- الأحكام المَدنيّة.
- الأحكام الاقتصاديّة.
- الأحكام القَضائيّة.
- الأحكام الجَزائيّة.

- الأحكام السِّياسيّة.
- الأحكام الدَّوليّة.

ونتناوَلُ بالبحث في مقدِّمة هذا الفَصلِ مَوضوعَ: المُجتمع من وُجهة نظر القُرآن. وتُدرَسُ في هذه الفُصول الثَّلاثة الأخيرة (٨ و٩ و١٠) البَرامجُ العَمليّةُ للقرآن في علاقة الإنسان بالله، وعلاقته بالنّاسِ الآخَرينَ، وتُذكَر فيها تعاليمُ هذا الكتابِ السَّماويِّ حولَ كلٍّ منها بشكلٍ مُستقلٍّ.

وبهذا التَّرتيب تكونُ مَعارفُ القرآن قد بدأتْ من نقطة مَبدأ الوُجود، وتدرَّجَت إلى مَراحل الخَلق والتَّدبير الإلهيِّ، ثمَّ اختُتمَتْ ببيان خَصائص المُجتمع المِثاليِّ للإنسان، وقد حُوفِظَ خلالَ جميع هذه المَراحلِ على الارتباط بالمِحور الأصليِّ، وهو: الله سبحانه وتعالى»[1].

حيثُ نُلاحظُ أنَّه بدأ بمحوريّة الله، بوَصفه علّةَ الوُجود، ثمَّ بالعالَم، بما هو مَعلولٌ وفَيضٌ إلهيٌّ، ثمَّ بالإنسان، بما هو أحدُ مَعلولاته المُفاضة منه، ثمَّ بمَعرفة الطَّريق، بما هو من لَوازم فَيضه وهدايته الإنسانَ نحوَ مَقصده الكَماليِّ، ثمّ بمَعرفة الدَّليل على الطَّريق، بما هو واسطةٌ في إيصال الهداية للإنسان نحوَ مَقصده، ثمَّ بمَعرفة القرآن، بما هو صِراطُ الهداية الأتمُّ والأكمَلُ للإنسان، ثمَّ بمَعرفة الأخلاق والبَرامج العباديّة والأحكام الفَرديّة والاجتماعيّة؛ بما هي هدايةٌ تَشريعيّةٌ للإنسان يَترتَّبُ عليها هدايةٌ تكوينيّةٌ بالوُصول إلى مَقصده وكماله.

إنَّ ما ذكرَه الشَّيخُ اليزديُّ من لحاظ تَصنيفيٍّ يَتقاطَعُ معَ ما ذكرَهُ العَلّامةُ الطَّباطبائيُّ في كثير من مَحاوره، وإنْ كانَت نَظرتُه للمَحاور نظرةً طُوليّةً علّيّةً وُجوديّةً، تَبدأُ من الله وتَنتهي بالإنسان؛ بلحاظ هدايته إلى الله. في حين أنَّ العلامةَ طرحَ مَحاورَه بنَحوٍ عَرْضيٍّ، لكنْ بمحوريّة الهداية الإلهيّة للإنسان إلى الله.

ج- مِحوريّة (العَقائد - الأخلاق - الأحكام):

يَعتمِدُ هذا التَّقسيمُ لحاظَ اندراجِ المَعارف القرآنيّة تحتَ ثُلاثيّة (العَقائد - الأخلاق - الأحكام)،

١ - محمد تقي اليزدي، معارف القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص ١٦- ٢٠.

وهو أحدُ التَّقسيماتِ الثَّلاثةِ التي طرحَها الشَّيخُ اليزديُّ، ولم يَعتمِدْها في تفسيرِه، معَ أنَّه يَراهُ تَقسيمًا مُعتمَدًا عندَ غيرِه من المُفسِّرينَ، ومَرغوبًا لكثيرٍ من النّاسِ، لكنَّه لا يَراهُ الأفضلَ بينَ التَّقسيماتِ المَطروحةِ، ويَجدُهُ مَوردًا لإشكالاتٍ عِدّةٍ؛ هي:

- أنَّه تقسيمٌ غيرُ جامعٍ لكلِّ معارفِ القُرآن، كما في الآياتِ التي تَتناوَلُ تاريخَ الأنبياءِ عليهم السلام وقِصصَهم، فإنَّها بهذا اللّحاظِ لا تَندرِجُ تحتَ أيٍّ من الأقسامِ الثَّلاثةِ المُتقدِّمة، وإنْ أمكنَ إدراجُها بالتَّبَعِ تحتَها، لكنْ ليسَ أوَّلاً وبالذّاتِ، أي بلحاظِ تاريخيّتِها وقِصَصِها.
- لا يُوجَدُ بينَ هذه الأقسامِ علاقةٌ واضحةٌ، ولا بدَّ من تكلُّفِ العَلاقةِ بينَها.

يَقول الشَّيخُ اليزديُّ في بيانِ هذا التَّقسيم: «لعلَّ الذِّهنَ يَألَفُ هذا التَّبويبَ أكثرَ من غيرِه، وهو أنَّ مَضمونَ الدِّينِ يَنقسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ (١- العقائد، ٢- الأخلاق، ٣- الأحكام)، وقد نبَّهَ على هذا التَّقسيمِ في مَواردَ كثيرةٍ من تفسيرِ الميزان.

إذنْ هذا لونٌ من ألوانِ التَّبويبِ يُقسِّمُ مَعارفَ القرآنِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: أحدُها في أصولِ العَقائدِ (التَّوحيد، النُّبوّة، المَعاد، العَدل، الإمامة)، وما يَتبع هذه الأصولَ، كتَفاصيلِ عالَمِ البَرزخِ. الثّاني في موضوعِ الأخلاق. والثّالث في موضوعِ الأحكام. ومن المَعلومِ أنَّ فُقهاءَنا قاموا بهذهِ المُهمّةِ في مَوضوعِ الأحكامِ، فألَّفوا كُتبًا تَدورُ حولَ آياتِ الأحكامِ، من قَبيلِ (كنز العرفان)، و(زُبدة البيان).

ولعلَّ كثيراً من النّاسِ يُعجِبُهُم هذا التَّقسيمُ، وهو تقسيمٌ جيِّدٌ، ولكنْ عليهِ بعضُ الإشكالاتِ، منها:

أنَّ اندراجَ جميعِ مَفاهيمِ القُرآنِ في هذه الأقسامِ الثَّلاثةِ أمرٌ صَعبٌ ومُشكلٌ، لأنَّه مَثلاً هناكَ قسمٌ مُهمٌّ من آياتِ القُرآنِ يَدورُ حولَ تاريخِ الأنبياءِ وقِصَصِهم، وصَحيحٌ أنَّه تُوجَدُ في القصّةِ جَوانبُ تَمَسُّ التَّوحيدَ والتَّشريعَ والأخلاقَ، ولكنَّ القصّةَ بأجمعِها ليسَت هذا ولا ذاكَ، وإنَّما هي قسمٌ قائمٌ بذاته، وإذا قُمنا بتَقطيعِ القصّةِ جُملةً جُملةً، فإنَّها لن تَبقى تلكَ القصّةُ، وإذا أرادَ الإنسانُ أن يَعرِفَ رأيَ القُرآنِ بالنِّسبةِ إلى أصحابِ الكهفِ، فلا يَعرِفُ إلى أيِّ بابٍ يَجب أن يَرجِعَ، وفي هذه

الصُّورةِ لا يَكونُ لَدينا بابٌ واضحٌ مُعيَّنٌ يَتناوَلُ قِصَصَ القُرآنِ ويُعالِجُ مَشاكِلَها.

ويُوجَدُ إشكالٌ جُزئيٌّ آخَرُ، وهو أنَّه ليسَ بينَ هذه الأقسامِ أيُّ علاقةٍ واضحةٍ، ولا بدَّ من تكلُّفِ العَلاقةِ بينَها. ونحنُ نَعترِفُ بأنَّ هذه الإشكالاتِ ليسَت مُهِمّةً جِدًّا، وإذا لم نَظفَرْ بتَبويبٍ أفضلَ مِن هذا، فلا بأسَ عَلينا من تَبنِّيه.

ويُلاحظ على ما ذكرَه الشَّيخُ اليزديُّ ما يلي:

- ما ذكرَهُ من اعتماد العلاّمة الطَّباطبائيِّ هذا التَّقسيمَ في تفسيرِه الميزان ليسَ دَقيقًا! وقد تقدَّمَ الكلامُ في أنَّ العلامةَ اعتمدَ محوريّةَ «الهدايةِ الإلهيّةِ للإنسان»، ومن لوازمِ هذه الهدايةِ بيانُ الدِّينِ على مُستوى العَقائدِ والأخلاقِ والأحكامِ، فاندراجُ المَعارفِ التي ذكرَها العلامةُ تحتَ هذه الثُّلاثيّةِ هو اندراجٌ بالتَّبَعِ. بل حتّى ما ذكرَهُ الشَّيخُ اليزديُّ نفسُه من معارفَ يَندرِجُ أغلبُها تحتَ هذه الثُّلاثيّةِ بالتَّبَعِ. فإنْ كانَ مَقصودُ الشَّيخِ اليزديِّ من اعتمادِ العلامةِ هذا التَّصنيفَ الثُّلاثيَّ للمَعارفِ القُرآنيّةِ، في سياقِ تَنظيرِه لتَقسيماتِ المَعارفِ في مُقدِّمةِ تفسيرِه الميزان، فهذا غيرُ دقيقٍ، لِما تقدَّمَ من أنَّ العلاّمةَ اعتمدَ مَحاورَ ثمانيةً، تَجمعُها الهدايةُ الإلهيّةُ للإنسان. وإنْ كانَ مَقصودُه جَريانَ العَلاّمةِ في طَرحِ المَعارفِ القُرآنيّةِ وتَناوُلَها بالبَحثِ في تفسيرِه الميزان، على اندراجِها ضمنَ هذا التَّقسيمِ الثُّلاثيِّ، فإنَّ ذلك -أيضًا- غيرُ دقيقٍ بأدنى تأمُّلٍ فيما طرحَه العَلاّمةُ من مَوضوعاتٍ، وبحَثَه في تَفسيرِه، بحيثُ لا يَندرِجُ بعضُها تحتَ هذا التَّصنيفِ الثُّلاثيِّ، كتاريخِ الأنبياءِ والأُممِ وقِصَصِهم وبعضِ الأبحاثِ العلميّةِ والفَلسفيّةِ والتّاريخيّة.. إلخ. ومنَ المُؤشِّراتِ على عدمِ اعتمادِ العَلاّمةِ هذا التَّقسيمَ الثُّلاثيَّ لتَصنيفِ معارفِ القُرآن: ما أوردَه الشَّيخُ اليزديُّ من إشكالٍ على التَّقسيمِ الثُّلاثيِّ، وهو عدمُ اندراجِ تاريخِ الأنبياءِ (ع) وقِصَصِهم تحتَ أيٍّ من أقسامِه، ذلكَ أنَّ العَلاّمةَ الطَّباطبائيَّ ذكرَ المَعارفَ المُرتبطةَ بتاريخِ الأنبياءِ وقِصَصِهم ضمنَ محورِه الخامسِ (المَعارف المُتعلِّقة بالإنسان في الدُّنيا)، وبحثَ في موضوعاتٍ لا تَندرِجُ تحتَ التَّقسيمِ الثُّلاثيِّ، كما تقدَّمَ!
- ما ذكرَه من عدمِ وجودِ علاقةٍ واضحةٍ بينَ هذه الثُّلاثيّةِ (العَقائد – الأخلاق – الأحكام)

ليسَ دَقيقًا، فهذه الثُّلاثيّةُ تُعبِّرُ عن مَعالم الهداية الإلهيّة المُتمثِّلة بالدِّين، لأنَّ هدايةَ الإنسان إلى مَقصده الكماليِّ تَستلزمُ مَعرفةً عَقديّةً، وسُلوكًا أخلاقيًّا، والتزامًا تَشريعيًّا، هذا من جهة، كما أنَّ هذه الثُّلاثيّةَ مُترتِّبةٌ فيما بينَها، بحيثُ لا يَنفكُّ أحدُها عن الآخَر، فالسُّلوكُ الأخلاقيُّ والالتزامُ التَّشريعيُّ لا يَندفعُ إليهما الإنسانُ من دون مَعرفة عَقديّة، كما أنَّ المَعرفةَ العَقديّةَ يَحصلُ عبرَها ضبطُ السُّلوك الأخلاقيِّ والفعلِ التَّشريعيِّ وتَوجيههما وُجهتَهما الصَّحيحةَ، والفعلُ التَّشريعيُّ لا يُعارضُ السُّلوكَ الأخلاقيَّ، بل يَنسجمُ معَه ويُكمِّلُه؛ بإنمائه المَلَكاتِ الأخلاقيّةَ الفاضلة.

د. محوريّة «الإنسان»:

ويَعتمدُ هذا التَّقسيمُ «الإنسانَ»، بوَصفه محورًا للمَعارف القُرآنيّة، لأنَّ القُرآنَ نزلَ لهدايته، فيَكونُ تَبويبُ مَعارف القُرآن تَبعًا لأبعاد الإنسان المُختلفة: الماديّة، والمَعنويّة، والدُّنيويّة، والأُخرويّة، والفَرديّة، والاجتماعيّة... وقد أوردَ الشَّيخُ اليزديُّ هذا اللّحاظَ في تَصنيف المَعارف القُرآنيّة، ولم يَرَ فيه إشكالاً من الجانبِ العمليِّ، وإنْ كانَ مَوردًا للإشكال من الجانبِ الفنِّيّ، من ناحيتَين، هما:

- إنَّ اعتبارَ الإنسان محورًا هو أمرٌ غيرُ مَرغوبٍ فيه من وُجهة نظرِ القُرآن، الذي يُقدِّمُ معارفَه وبياناته على أنَّها صادرةٌ عن الله تعالى، ويُعارضُ الاتِّجاهَ الإنسانيَّ (هيومانيسم) الذي يَجعلُ الإنسانَ محورًا للوُجود، بَدلاً من محوريّة الله.
- وجودُ إبهام لجهة تَحديد الأبعاد الوُجوديّة للإنسان، وبذلك لا يَصلحُ الإنسانُ بهذا اللّحاظ محورًا لتَقسيم المَعارف القرآنيّة، فَضلاً عن عدم وُجود ارتباطٍ واضحٍ بينَ هذه الأبعاد!
- تَقسيمُ معارف القرآن، بحسب الأبعاد الوُجوديّة للإنسان، غيرُ دقيق، لأنَّ بعضَ الأحكام الإلهيّة أو الأخلاقيّات المَمدوحة لا تتعلَّقُ ببُعد واحد من أبعاد الإنسان، وإنَّما بأبعاد عِدّة منه، بحيثُ لا يَصلح إدراجُها تحتَ أحدها دونَ الآخَر، لأنَّه تَرجيحٌ بلا مُرجِّح.

يقولُ الشَّيخُ اليزديُّ مُبيِّنًا هذا اللّحاظَ في التَّصنيف: «الاقتراحُ الثّاني مَبنيٌّ على أنَّ القرآنَ جاءَ لهدايةِ النّاسِ؛ كما قال تعالى: ﴿**هُدًى لِلنَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وللإنسان أبعادٌ مُختلفةٌ: ماديّةٌ،

مَعنويّةٌ، فَرديّةٌ، اجتماعيّةٌ، دُنيويّةٌ، أُخرويّةٌ. ولهذا فنحنُ نُبوِّبُ مَعارفَ الإنسانِ حسبَ أبعادِ وجودِ الإنسانِ. وعلى هذا، فإنَّ الإنسانَ يُصبِحُ مِحورًا لهذا التَّبويبِ.

ومن الواضحِ أنَّ هذا الأمرَ عَمليٌّ، وليسَ فيه إشكالٌ أساسيٌّ، ولكنْ يَبدو لنا أنَّ الإشكالَ الفنِّيَّ فيه أقوى من الإشكالِ في الاقتراحِ الأوَّلِ (محوريّة: العَقائد - الأخلاق - الأحكام)، لأنَّنا عندَما نتعمَّقُ في مَفاهيمِ القُرآنِ نجدُ أنَّ اعتبارَ الإنسانِ محورًا هو أمرٌ غيرُ مَرغوبٍ فيه من وُجهةِ نظرِ القُرآنِ، وهو تيّارٌ شائعٌ في زماننا يُسمَّى بالاتِّجاهِ الإنسانيِّ (هيومانسيم)، يَعتبرُ الإنسانَ هو الأصلَ، ثمَّ يَقيسُ كلَّ شيءٍ بالنِّسبةِ للإنسانِ. ولا يتَّفقُ القرآنُ مع هذا الاتِّجاهِ، لأنَّنا نُلاحظُ أنَّ جميعَ مفاهيمِ القرآنِ وفي أيِّ بابٍ كانَ، من عَقائدَ وأخلاقٍ ومَواعظَ وقِصَصٍ وتَشريعاتٍ وأحكامٍ فَرديّةٍ واجتماعيّةٍ و... لها جَميعًا محورٌ واحدٌ، وهو اللهُ تباركَ وتَعالى. فهو عندَما يُبيِّنُ لنا قانونًا أو حُكمًا، يقول: اللهُ الذي أنزلَ عليكُم هذا الحُكمَ، وحينَما يُريدُ الحثَّ على خُلُقٍ مُعينٍ، يَقول: إنَّ اللهَ يُحبُّه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة: ٤٢]، ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧].

لهذا، فإنَّ محورَ الأخلاقِ أيضًا هو اللهُ تبارك وتعالى. وبناءً على هذا نستطيعُ أن نقولَ إنَّ المحورَ في آياتِ القُرآنِ الكريمِ هو اللهُ تعالى، وليسَ الإنسانَ. إذنْ من الانحرافِ أن نَعتبرَ الإنسانَ هو المحورَ في مَعارفِ القرآنِ، بل لا بدَّ من اعتبارِ اللهِ هو المحورِ لها، ولا بدَّ من الإصرارِ على ذلك.

الإشكالُ الآخَرُ الذي يُورَدُ هنا هو أنَّ الأبعادَ الوُجوديّةَ للإنسانِ كانَت مُبهَمةً، ولم يكنْ أحدٌ يَعرفُ ما هو عددُ أبعادِ الإنسانِ، حتى نقومَ بتَبويبِ الآياتِ، حسبَ تَقسيمِنا للأبعادِ الوُجوديّةِ للإنسانِ. ويَبدو لنا أنَّه لا يُوجَدُ ارتباطٌ واضحٌ بينَ الأبعادِ الوُجوديّةِ للإنسانِ.

الإشكالُ الثّالث هو أنَّ تَقسيمَ مَعارفِ القرآنِ حسبَ الأبعادِ الوُجوديّةِ للإنسانِ أيضًا أمرٌ عَقيمٌ، لأنَّنا نجدُ أحيانًا أنَّ حُكمًا إلهيًّا أو خُلُقًا مَمدوحًا في الإنسانِ لا يَتعلَّقُ ببُعدٍ خاصٍّ من أبعادِ الإنسانِ، وإنَّما يَرتبطُ بعدّةِ أبعادٍ منه؛ بحيثُ لا يُمكِنُ القَولُ بأنَّ هذا البَيانَ القرآنيَّ يتعلَّقُ فقط بهذا البُعدِ الخاصِّ من الإنسانِ»[1].

١ - محمد تقي اليزدي، معارف القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص ١٣- ١٥.

ويُلاحَظ على ما ذكرَه الشَّيخ اليزديُّ؛ الآتي:

- ما ذكرَه من اعتبارِ الله محورًا؛ بَدلاً من محوريّة الإنسان، دقيقٌ وصَحيحٌ، لكنْ لا يمُكنُ إغفالُ وجودِ محوريّة للإنسان في البيانات والمَعارف القُرآنيّة المُوجَّهة إليه من الله تعالى، فتكونُ المحوريّةُ لله بالأصالة وللإنسان بالتَّبع، ويمُكنُ التَّعبيرُ عن هذه المحوريّة بـ «محوريّة الهداية الإلهيّة للإنسان»، بوَصفه هَدفًا عامًّا للقرآن من إلقاءِ مَعارفه.

- على الرَّغم من وجودِ إبهام في تحديد الأبعاد الوُجوديّة للإنسان، فإنَّ استجلاءَ هذه الأبعاد يَكمنُ بالبَيانات القُرآنيّة التي لها دورُ الكَشف عن هذه الأبعاد، بحيثُ يَكتَشفُها المُفسِّرُ بالتأمُّل الدَّقيق في هذه البَيانات المُرتبطة بالإنسان، وبعدَها يُعمِّقُ مَعرفتَه بها، بالتَّفسير المَوضوعيِّ. وهذا نفسُه يَردُ على التَّصنيفات الأُخرى، ومنها تَصنيفُ الشَّيخ اليزديِّ من أنَّ استجلاءَ مَعالم هذا التَّصنيف لا يتمُّ إلا من خلال التَّأمُّل الدَّقيق في البيانات والمَعارف القُرآنيّة أوَّلًا، ومن ثَمَّ انتزاعِ هذا التَّصنيف منها، ومِن ثَمَّ البناءِ عليه في بحثِ المَوضوعاتِ وبيانِ الرُّؤية القُرآنيّة فيها.

- ما ذكرَه من عدمِ وُجودِ ارتباط واضح، بينَ هذه الأبعاد، هو غيرُ دقيق، فبأدنى تأمُّل فيما ذكرَه القرآنُ من هذه الأبعاد (المادِّيّة والمَعنويّة، والفَرديّة والاجتماعيّة، والدُّنيويّة والأُخرويّة)، نجدُ ارتباطًا وَثيقًا بينَها، لجهةِ هدايةِ الإنسانِ في سَيرِه العَوالميِّ نحوَ مَقصدِه الكَماليِّ.

- لا مشكلةَ في اندراجِ بعضِ الأحكام الإلهيّة أو الأخلاقيّات المَمدوحة، التي لا تتعلَّقُ ببُعد واحد من أبعادِ الإنسان، تحتَ قسم دونَ آخرَ من التَّقسيم، إذ يُمكنُ إدراجُها تحتَها جَميعًا، مع لحاظِ الاختلافِ في الحَيثيّة؛ فيَزولُ الإشكالُ.

نعمْ، يُمكن أن يَردَ على هذا التَّقسيم أنَّه لا تَندرجُ تَحتَه مَعارفُ وبياناتٌ قرآنيّةٌ عِدّةٌ، ولا سيَّما ما يَرتبطُ بالله وذاتِه وصِفاتِه وأفعالِه وكلِّ ما هو غيرُ الإنسانِ من الخَلقِ.

ويَبقى ما ذكرَه الشَّيخُ اليزديُّ من تقسيمٍ بـ «محوريّة الله» أنسبَ وأولىَ من تقسيمَيهِ الآخَرَينِ اللَّذَينِ ذكرَهُما.

٤- الخطوات المنهجيّة لهذا الاتِّجاه:

في صَدد بَيانه للخطوات المَنهجيّة، المُعتمدة في البحث التَّفسيريِّ، يقولُ الشَّيخُ اليزديُّ: «فلكيَ نُبوِّبَ معارفَ القرآن، لا بدَّ أن نأخُذَ بعَين الاعتبار نظامًا خاصًّا للمَوضوعات، ثمَّ نُفتِّشَ عن مجموعة من الآيات لكلِّ مَوضوعٍ، ونَجعلَ بعضَها إلى جانب بعض، ثمَّ نَتعمَّقَ في فَهمِها، وإذا صادَفْنا نقاطًا مُبهَمةً غامضةً في إحداها فلَنا أن نَستعينَ بالآيات الأُخرى لتَوضيح الغامضِ وتَبيين المُبهَم، ويُسمَّى هذا الأسلوبُ بـ (تفسير القرآن بالقرآن)، وهو الطَّريقُ نفسُه الذي سارَ عليه العلاّمةُ الكبيرُ المَرحومُ الطَّباطبائيُّ في تفسيرِ الميزان.

ولكنْ يَجب الالتفاتُ إلى أنَّنا عندَما نَنتزعُ الآيةَ ونُخرجُها من سياقِها، من دون أن نَهتمَّ بما قبلَها وما بعدَها، فلعلَّ ذلك يُودِّي بنا إلى الحِرمان من مَعناها الواقعيِّ. وبعبارةٍ أُخرى: فإنَّ لآيات القرآن قرائنَ كلاميّةً قد تُذكَرُ في الآيةِ السّابقةِ أو في الآيةِ اللاّحقة، وقد تَثبتُ أحيانًا في سورة أُخرى، ولا يُمكنُ الوصولُ إلى المَعنى الواقعيِّ للآياتِ من دونِ الالتفاتِ إلى هذه القَرائن.

فيَجبُ علينا أن نُدقِّقَ كثيراً لئلاّ نقعَ في هذا المَحذور، فنَقطعَ الآياتِ ونُمثِّلَ بها، ونُبعدَها عن مَفادِها الحَقيقيِّ، فنكونَ كمَن قال (لا إلهَ) من دون أن يُلحقَ بها (إلاّ الله)! فإذا أردْنا أن نُدرِجَ آيةً ما تحتَ مَوضوعٍ وعُنوانٍ خاصٍّ فلا بدَّ من ملاحظةِ الآياتِ التي قبلَها وبعدَها، فإنْ وَجدْنا ما يَصلحُ قرينةً لها فلا بدَّ من ذِكرِها.

وعندَما نَحتاجُ إلى ذكرِ آيةٍ ما فلا مانعَ من إضافةِ آيةٍ قبلَها وبعدَها، وجعلِ تَينَكَ الآيتَينِ بينَ قَوسينِ لئلاّ يُغفَل عن القرائنِ الكلاميّة أثناءَ المُراجعة. ونعودُ لنُؤكِّدَ مرّةً أُخرى على الاهتمامِ بالقَرائنِ المَذكورةِ قبلَ وبعدَ الآيةِ المَطلوبة، ويتَّفقُ لي أحيانًا أن أستظهرَ شيئًا من آيةٍ ما، ثمّ ألتفتَ بعدَ فترةٍ من الزَّمنِ إلى أنَّ هناك قرينةً في الآيةِ السّابقةِ عليها، وقد غفلتُ عنها، ولو أنَّني أخذتُها

بعَينِ الاعتبارِ لتَكاملَ استظهاري، أو لاستظهرْتُ شَيئًا آخَرَ، لذا يَنبغي علينا ألّا نَغفلَ عن هذه المُلاحَظة. إلى هنا عَرفنا أنَّ عَلينا تَبويبَ مَفاهيمِ القرآنِ ومَعارفِه، ومن الطَّبيعيِّ أن يَتبع ذلكَ تَبويبٌ للآياتِ نفسِها؛ أي لا بدَّ أن نَذكُرَ لكلِّ بابٍ مَجموعةً من الآياتِ»[1].

وبناءً على ما تقدَّمَ من كلامِ الشَّيخِ اليزديِّ، يُمكن تحديدُ الخطواتِ المَنهجيّةِ للبَحثِ، وفقَ هذا الاتِّجاهِ التَّفسيريِّ، بالآتية:

- **الخطوة الأولى:** تحديدُ التَّصنيفِ الخاصِّ لنِظامِ المَعارفِ القُرآنيّةِ.
- **الخطوة الثانيّة:** إدراجُ المَوضوعاتِ تحتَ هذا التَّصنيفِ.
- **الخطوة الثالثة:** رصدُ الآياتِ التي تَشترِكُ في مَوضوعٍ من المَوضوعاتِ، وجَمعُها وتَبويبُها تحتَ موضوعاتها من جهة، ومحاورِ مَوضوعاتِها من جهةٍ ثانية.
- **الخطوة الرابعة:** بحثُ هذه الآياتِ في سياقاتِها الخاصّةِ، معَ الأخذِ بعَينِ الاعتبارِ القَرائنَ المتَّصلةَ بها والمُنفصِلةَ عنها.
- **الخطوة الخامسة:** المُقارَنةُ والمُوازنةُ بينَ هذه الآياتِ، معَ لحاظِ اندراجِها تحتَ مَوضوعِها؛ من جهةٍ، وتحتَ محورِها الخاصِّ، من جهةٍ ثانية، وارتباطِها بمِحوريّةِ اللهِ، من جهةٍ ثالثة.
- **الخطوة السادسة:** استنتاجُ الرُّؤية المَوضوعيّة.

٥- من تطبيقاتِ هذا الاتِّجاه

بحثَ الشَّيخُ اليزديُّ في الرُّؤيةِ القُرآنيّةِ لمَوضوعاتٍ عِدّةٍ في تفسيرِه «معارف القرآن»، ومن

١ - محمد تقي اليزدي، معارف القرآن، ج١، المقدّمة، ص. ص ١٠-١١.

نَماذج ذلك: ما بحثَه في الجُزءِ الأوَّل منه، بعنوان «معرفة الله، بوَصفه محورًا أساسًا ومَركزيًّا في البَحث المَوضوعيِّ، بناءً على تَصنيفه المحوريِّ لمَعارف القرآن، حيثُ تناولَ فيه مسائلَ أساسيّةً في مَعرفة الله وتَوحيده وصفاته وأفعاله؛ لجهة مَعرفة الإنسان بها، والأدلّة عليها، وما يُثار عَليها من أسئلة وإشكاليّات، وما يترتَّبُ عليها من آثار، ولا سيَّما فيما يَرتبطُ بهداية الإنسان؛ وذلك وفقَ العناوين الآتية:

١- مَعرفةُ الله:

- المَعرفةُ الشَّخصيّةُ والمَعرفةُ الكلِّيّةُ للأشياء.
- الأسماءُ الإلهيّةُ الخاصّةُ والأسماءُ العامّة.
- اسمُ الله.
- الدَّليلُ العَقليُّ على وجودِ الله في القرآن.
- مَعرفةُ الله الفِطريّةُ في القرآن.

٢ - التَّوحيد:

- التَّوحيدُ الفِطريُّ في القرآن.
- نصابُ التَّوحيدِ في القرآن.
- الاستدلالُ العَقليُّ على التَّوحيد.
- التَّوحيد الذّاتيُّ والصِّفاتيُّ والأفعاليّ.

٣ - إلى أيِّ مدًى يمُكنُنا مَعرفةُ الله؟

٤ - الأفعالُ الإلهيّة:

- كيفيّةُ الإيجادِ.
- إرادةُ الله وكلامُه.
- علاقةُ أصل العِلّيّةِ بالتَّوحيدِ الأفعالي:
  - العِلّيّةُ المادِّيّة.
  - عِلّيّةُ المَلائكة.
  - عِلّيّةُ الشَّياطينِ.
  - عِلّيّةُ الإنسانِ.
- علاقةُ أصلِ العِلّيّةِ بالمُعجزات.
- سَعة القُدرةِ الإلهيّة.
- هدفُ الأفعالِ الإلهيّة:
  - الحقّ.
  - العَبث.
  - الباطل.
  - اللَّهو واللَّعب.
  - ما هو الهَدفُ من إيجاد العالَمِ؟
- مراتبُ الفِعلِ الإلهيّ.

- الإذنُ الإلهيُّ:
  - المَشيئة.
  - الإرادة.
  - القَدَرُ الإلهيّ.
  - القَضاءُ الإلهيّ.

٦- تقويم هذا الاتِّجاهِ

يُلاحَظُ على هذا الاتِّجاهِ أمورٌ، هي:

- الاختلافُ في لحاظاتِ تَصنيفِ مَعارفِ القرآنِ يَستتبِعُ اختلافًا في تَحديدِ الرُّؤيةِ القُرآنيّةِ للمَوضوعاتِ.
- بعضُ هذه التَّصنيفاتِ غيرُ جامعةٍ للبَياناتِ والمَعارفِ القُرآنيّة بكُلِّيتِها، كتَصنيفِ «محوريّة الإنسان»، والتَّصنيف الثُّلاثيّ» العَقائد - الأخلاق - الأحكام»، على ما تقدَّمَ من بيانٍ لذلك.
- تقاطعَ تَصنيفُ الشَّيخِ اليزديِّ، للمَعارف القرآنيّة، معَ تَصنيفِ العلاّمة الطَّباطبائيِّ لها، في كثير من المَحاورِ، وإنْ كانَت نظرةُ الشَّيخِ اليزديِّ للمَحاورِ نَظرةً طُولِيّةً علِّيّةً وُجوديّةً، تَبدأ من الله وتَنتهي بالإنسان، بلحاظِ هدايتِه إلى الله، في حين أنَّ العلاّمةَ طرحَ مَحاورَه بنَحوٍ عَرْضيٍّ، لكنْ بمحوريّةِ الهدايةِ الإلهيّةِ للإنسانِ إلى الله. فعَلى الرَّغمِ من اختلافِ النَّظرةِ إلى المَحاورِ نَجدُهُما يَلتقيانِ في الهدفِ؛ وهو ابتداءُ الإنسانِ من الله، وهدايتُه في سَيرِه الوُجوديِّ نحوَه تعالى.

- تختلفُ مُعالَجةُ الشَّيخِ اليزديِّ للمَوضوعِ عن معالجةِ العلاّمةِ الطَّباطبائيِّ له، بلحاظِ رَبطِ الشَّيخِ اليزديِّ المَوضوعَ بلحاظاتٍ عِدّةٍ (ارتباط المَوضوع بمحوره الخاصِّ/ ارتباط المحور الخاصِّ بالمحورِ الأساسِ، وهو اللهُ تعالى)، في حين أنَّ العلاّمةَ الطَّباطبائيَّ يَكتفي برَبطِ المَوضوعِ ضمنَ محورِه الخاصِّ؛ وإنْ كانَ يَلحظُ نوعًا من الانسجامِ والتَّرابطِ بينَ المَحاورِ في نظرتِه.

- انطلاق هذا الاتِّجاه في تحديدِ المَوضوعاتِ وتَصنيفِها في مَحاورِها من خلالِ النَّظرِ إلى القُرآن، لا من خلالِ الواقعِ المَعيشِ، كما نجدُ في الاتِّجاهِ الحِواريِّ الاستنطاقيِّ عندَ الشَّهيدِ الصَّدرِ. ويمُكن تَفعيلُ كِلا الرُّؤيتَينِ، من خلالِ النَّظرِ إلى القرآنِ في تحديدِ المَحاورِ الأساسيّةِ، والنَّظرِ إلى الواقعِ الخارجيِّ (القرآن بما هو كاشفٌ عن الواقعِ الخارجيِّ - الواقع المَعيش) في تحديدِ المَوضوعاتِ، وبَيانِ اندراجِها تحتَ مَحاورِها.

- إنَّه أهملَ أبعادًا أُخرى مُهمّةً في النَّظرةِ القُرآنيّةِ.

وعلى الرَّغمِ من الملاحظاتِ السّابقةِ، يَبقى لهذا الاتِّجاه إسهامُه البَيِّنُ في تَطويرِ البَحثِ المَوضوعيِّ في القرآن الكريم، وإدخالِه بُعدًا مُهمًّا على النَّظرةِ القرآنيّةِ، وهو لحاظُ المَعارفِ القُرآنيّةِ ضمنَ نِظامٍ مَعرفيٍّ مُتكاملٍ.

خاتمة

على الرَّغمِ من المُدّةِ القَصيرةِ نسبيًّا، التي ظهرَ فيها التَّفسيرُ المَوضوعيُّ؛ بما لا يتجاوَزُ القَرنَينِ من الزَّمنِ، غيرَ أنَّه تبلوَرَت طُروحاتٌ مُهمّةٌ جدًّا، على اختلافِ نَظراتِها إلى البَحثِ التَّفسيريِّ المَوضوعيِّ، أسهَمَت في تَطويرِه على المُستويَينِ النَّظريِّ والتَّطبيقيِّ، ومِن هذه الطُّروحاتِ:

التَّفسيرُ المَوضوعيُّ الارتباطيُّ بينَ مَوضوعاتِ القرآن (اتِّجاهٌ طرحَه الشَّيخُ ناصر مكارم الشِّيرازيُّ، وغيرُه): ويَلحظُ المُفسِّرُ فيه وجودَ ارتباطٍ بينَ المَوضوعاتِ القُرآنيّةِ ضمنَ شبكةٍ مَفاهيميّةٍ، لا يُمكِنُ أن يَتغافَلَ عَنها المُفسِّرُ في بحثِه لمَوضوعٍ من المَوضوعاتِ.

التَّفسيرُ المَوضوعيُّ الارتباطيُّ بينَ مَحاور القُرآن (اتِّجاهٌ طرحَهُ العلامةُ الطَّباطبائيُّ والشَّيخُ محمد تقيّ مصباح اليزدي): ويَلحظُ المُفسِّرُ فيه وجودَ مَحاورَ أساسيّةٍ للقُرآن الكريم، مُترابطةٍ ومُنسجمةٍ فيما بينَها، تَندرِجُ تحتَها المَوضوعاتُ، والتَّنبيه على ضرورةِ الوَعيِ بذلكَ في بحثِ المَوضوعِ قُرآنيًّا.

ومعَ امتلاكِ هذه الاتِّجاهاتِ نقاطَ قُوّةٍ مَنهجيّةٍ، وإسهامِها في التَّطويرِ المَنهجيِّ والتَّطبيقيِّ للتَّفسيرِ المَوضوعيِّ، غير أنَّها تَعتورُها نقاطُ ضَعفٍ، تمَثَّلَت في إغفالِها أو إهمالِها لبَعضِ العَناصرِ المَوضوعيّةِ المُؤثِّرةِ في تَشكيلِ النَّظرةِ المَنهجيّةِ إلى البحثِ التَّفسيريِّ، انعكسَت بدَورِها على البحثِ التَّطبيقيِّ لهذِه الاتِّجاهاتِ.

لذا، كانَ لا بدَّ من العملِ على استكمالِ الجهودِ المَبذولةِ، من قِبَلِ الباحثينَ والمُفسِّرينَ، في تَطويرِ البحثِ التَّفسيريِّ المَوضوعيِّ على مُستوى التَّنظيرِ المَنهجيِّ، وعلى مُستوى التَّطبيقِ، وتَطويرِ الاتِّجاهاتِ والنَّظراتِ التَّفسيريّةِ المَوضوعيّةِ المَطروحةِ، والاستفادةِ منها في تَنظيراتٍ جَديدةٍ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أحمد القاسم الكومي، محمد أحمد يوسف: التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ط١- ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- أمين الخولي، الأعمال المختارة (دراسات إسلاميّة)، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط- ١٩٩٦م.
- جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى، (ط١- ١٨٨٤م)، مؤسّسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط- ٢٠١٥م.
- سامر رشواني، منهج التَّفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، دار الملتقى، حلب، ط١- ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- عائشة عبد الرحمن، التَّفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط٧- ١٩٩٠م.
- عبد الحي الفرماوي، البداية في التَّفسير الموضوعي، مطبعة الحضارة العربيّة، القاهرة، ط٢- ١٩٧٧م.
- عبد الستّار فتح الله سعيد، المدخل إلى التَّفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلاميّة، بور سعيد، ط٢- ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- عبد الله الجوادي الآملي، تسنيم في تفسير القرآن، ترجمة: عبد المطّلب رضا، دار الإسراء، بيروت، ط٢- ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- عبد الله الجوادي الآملي، جمال المرأة وجلالها، دار الهادي، بيروت، ط١- ١٤١٥هـ-

١٩٩٤م.

- محمد تقي مصباح اليزدي، معارف القرآن، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار المصطفى a العالميّة، بيروت، ط٤- ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- محمد حجازي، الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح وإشراف على الطباعة: الشيخ حسن الأعلمي، قُم المقدّسة: مؤسّسة الإمام المنتظر ﷺ، مؤسّسة العلمي للمطبوعات، ط- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- محمد رشيد رضا، الوحي المحمّدي، مؤسّسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط٣- ١٤٠٦هـ.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأخلاق في القرآن الكريم، إعداد: المؤسّسة الإسلاميّة، قُم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب j، مطبعة سليمان زاده، ط٢- ١٤٢٦هـ.
- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات القرآن، بمساعدة مجموعة من الفضلاء، مؤسّسة أبي صالح للنشر والثقافة، مطبعة الحيدري، (لا ت).